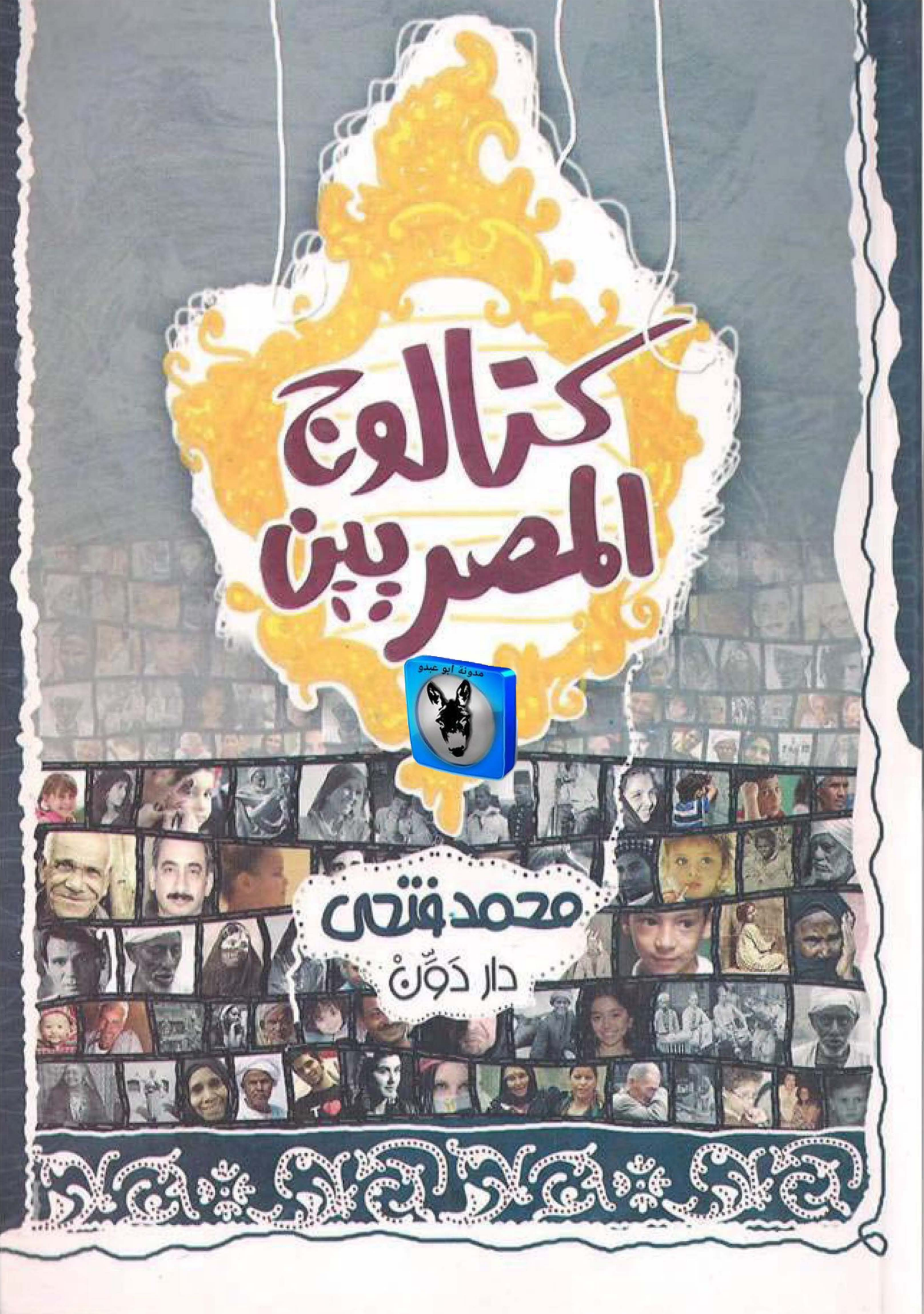

كتالوج
المصريين
مدونة ابو عبدو
محمد فتحي
دار دوّن

إهداء

إلى أي حَد عايز يريَّح دماغه من السياسة

المهم إن هي تريَّح دماغها مِنَّك!!

مُقدّمة (على ما قُسُم)!!

تعاشبشاي ☺

المصريين اهمًا!!!

أكمِل مِن فضلك..

حيوية، وعَزم، وهِمَّة.

كيف خرج هذا الوصف على المصريين؟؟

كيف تجرّأ أحدهم واختصرهم في الحيوية والعَزم والهِمَّة، وهل هو صادق في وصفه أم سيصوم ثلاثة أيام؟؟

لا أعرف، في الغالب كان الشاعر يحاول أن يجد كلمات تناسب الوزن والقافية، فلم يجد غير هذه الكلمات، وهي كلمات بلا أمارة، أو دليل، وإلا فلتكمِل إن لم تكن تصدّقني حيث يقول: جيل بعد جيل متقدمين!!

هل فهمت ما أقصد؟؟

إذا لم تفهم، تعالَ من فضلك.. فلاش باك..

زمان..

زماااااااااااااان

أيام «الحجاج بن يوسف الثقفي» الطاغية الذي كان محفِظًا للقرآن، ثم دارت عليه الأيام ليقذف الكعبة بالمنجنيق، ويقتل «عبد الله بن الزبير»، ينصح الحجاج أحدهم فيقول: "لو ولّاك أمير المؤمنين أمر مِصر، فعليك بالعدل، فهُم قَتَلة الظَّلَمة، وهادمو الأمم، وما أتى عليهم قادمٌ

بخيرٍ إلا التقموه، كما تلتقم الأم رضيعها، وما أتى عليهم قادمٌ بشرٍّ إلا أكلوه كما تأكل النار أجف الحطبِ، وهُم أهل قوَّة وصبر وجلدة وحِمل، ولايغرَّنَّك صبرهم، ولا تستضعف قوَّتهم، فهُم إن قاموا لنصرة رَجلٍ ما تركوه إلا والتاج على رأسه، وإن قاموا على رَجلٍ ما تركوه إلا وقد قطعوا رأسه، فاتَّقِ غضبهم، ولا تشعل نارًا لا يطفئها إلا خالقهم، فانتصر بهم فهُم خير أجناد الأرض، واتّقِ فيهم ثلاثًا:

- نساءهم فلا تقربهم بسوءٍ وإلا أكلوك كما تأكل الأسود فرائسها.

- أرضهم وإلا حاربتك صخور جبالهم.

- دينهم وإلا أحرقوا عليك دنياك، وهُم صخرة في جبل كبرياء الله، تتحطَّم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله.

حسنًا.. من المفيد هُنا أن نقول أن (الحجاج)/ (الطاغية) فهِمَ المصريين أكثر مما فهمهم شاعر من أبنائها!!

وهذا هو مربط الفرس..

هذا هو الكتالوج، والكتالوج دائمًا – للأسف- في يد الغريب، والطاغية، والفاسد، والكاذب، والفاجر، والمنافق، ولم يكن يومًا في يد الشريف.

والغريب أن المصريين يحبون كل الأصناف السابقة، ويرضون بهم طالما استخدموا الكتالوج، بينما يستمتعون بمصمصة شفاههم على الشريف الذي يذهب (في الرّجلين)!!

المصريون شعب سهل الاستخدام، يفتح قلبه من الناحيتين، وينام على الجنب اللي يريّحه، ويفتح أذنه للكلام الذي يعجبه فيدخل ويظَلّ، وإن لم يعجبه يدخل ويخرج من الأذن الأخرى.

المصريون شعب يُحفَظ في درجة حرارة ملائمة حتى لا يفسد، ويوضع فساد رؤوسه في"آيس بوكس" ليتمّ حفظه وتوريثه، ولا يملّ المصري أبدًا من إيجاد بيئة يستطيع أن يعيش فيها على كل متناقضاته، فهو متديّن ويسُبّ الدين.. وطني جدًّا، لكنه يخدم أعداء وطنه أكثر مما يحاربهم.. مخلص جدًّا، لكن "عنيه زايغة".

يغضب للتوافه، ويمرّر الحوادث الجَلَل بلا مبالاة.. يُحِبُّ الكلام أكثر من الفعل، ويعتزُّ بكرامته لدرجة الذُّل!!

نحن شعب "مبرراتي"، لا نقبل أن نعترف بأخطائنا، فنكرّرها، ونلدغ من نفس الجحر مرّات ومرّات لدرجة تستدعي مراجعة إيماننا.

قادرون على تصنيف غيرنا، وإبداء آرائنا فيهم، دون أن نقف في المرآة لنتأمل أنفسنا، وتأسرنا الكلمة الطيبة، ولو جاءت من نصّاب، ونغضب من الكلمة القاسية ولو كانت حقًّا فنعتبر قائلها كاذبًا!!

نحن الذين نرى مصر أم الدنيا، ولا نعرف من أبوها!!

نحن الذين نرى أن أفضالنا على الجميع، وننسى أفضالهم علينا.

نحن الذين نُعلِّم أبناءنا أول ما نعلّمهم كيف يبصقون على الآخرين ☺

نحن الذين ونحن الذين، ونحن أولاد الذين...

الحياة حلوة.. بس نفهمها

(1)ابدأ من جديد

أرجوك افعلها، وابدأ من جديد.

لا تنزعج من أخطائك بقدر ما يجب أن تحاول التعلُّم منها، فالطفل الصغير الذي يقع، لو لم يقع، لما تعلَّم المشي، وها هو الآن يجري، ولو توقَّف بعد أول وقعة، ولم يبدأ من جديد لظَلّ في مكانه إلى الأبد.

ابدأ من جديد مهما ظننت أنه لا يوجد جديد، ومهما توهمت أن اليأس هو سيِّد الموقف.

صدقني يا عزيزي.. الأمل هو سيِّد الموقف، وأنت لم يحدث لك كما حدث مع الأنبياء أنفسهم، فلم تخرج من الجنَّة، أو يقتُل ابنك شقيقه مثلما حدثَ مع آدم، ولم تفقد ابنك لأنه لم يسمع كلامك وظنَّ أنه سينجو بعيدًا عنك مثلما حدث مع نوح، ولم يلقِ أحد بك إلى النار، أو تؤمر بذبح ابنك كما حدث مع إبراهيم، ولم تلقِك أمك في التابوت ثم تقذفك في اليَمِّ كما حدث مع موسى، ولم يتآمر عليك إخوتك ليلقوك في غَيَابة الجُبِّ، كما حدثَ مع يوسف، ولم تقبع في ظُلماتٍ في بطن الحوت مثلما حدث مع يونس، وكلهم يا عزيزي.. أنبياء.

وحتى لو حدث لك كل ذلك، ابدأ من جديد، وأنت تدرك أن ما يحدث لك من ابتلاء هو من ميراث الأنبياء، وانظر لما يصيبك على أنه لم يكن

لبخطئك، وما أخطأك على أنه لم يكن ليصيبك، بشرط أن تطبّق القاعدة، وتبدأ من جديد.

ارجوك، تأكد من أن الخطأ الذي لا تتعلم منه تخسر بسببه الكثير والكثير، لكن الأمل الوحيد في تداركه أن تبدأ من جديد.

كل قِصص الحُبِّ التي ظنَّ الجميع أنها انتهت، تبدأ من جديد.

هذا القلب الذي ينبض لا يتوقف عن الخفقان، بل يبدأ من جديد، والمشاعر نفسها لا تفنى ولا تُستحدَث من عدم، بل تبدأ من جديد، مع كل لحظة تحياها تبدأ من جديد.

راجع تاريخك، وقيِّم علاقتك بنفسك وبالآخرين لتدرك أنك كنت دائمًا، تبدأ من جديد.

حتى لو لم تنجح، فهذه فُرص لكي تبدأ من جديد.

حتى لو ظننت أنك لا تستطيع، فاستطاعتك الحقيقية هي أن تبدأ من جديد، ولن تحقق حُلمك إلا لو بدأت من جديد.

الدول التي ظنَّ الناس أنها ذهبت ولم تعد، بدأت من جديد.

اليابان التي ألقت عليها أميركا القنابل الذرية، بدأت من جديد، ومن قلب الخراب، وأصبحت من أعظم دول العالم تقدُّمًا وحضارة ورقيًّا وعِلمًا وإنجازًا واقتصادًا، فقط، لأنها بدأت من جديد.

فهل تبدأ من جديد؟

(2)خذوا الحكمة من "فيس بوك"

-في عمر 4 سنوات.. النجاح هو: عدم التبول في ملابسك!!

-في عمر 6 سنوات.. النجاح هو: إيجاد طريقك للبيت من المدرسة!!

-في عمر 12 سنة.. النجاح هو: أن يكون لديك أصدقاء!!

-في عمر 18.. النجاح هو: الحصول على رخصة قيادة!!

-في عمر 20.. النجاح هو: الحصول على المال!!

-في عمر 35.. النجاح هو: الحصول على المال!!

-في عمر 45.. النجاح هو: الحصول على المال!!

-في عمر 55.. النجاح هو: الحصول على المال!!

-في عمر 60.. النجاح هو: الحصول على المال!!

-في عمر 65.. النجاح هو: استمرار مفعول رخصة القيادة!!

-في عمر 70.. النجاح هو: أن يكون لديك أصدقاء!!

-في عمر 75.. النجاح هو: معرفة طريقك من أي مكان إلى البيت!!

-في عمر 80.. النجاح هو: عدم التبول في ملابسك!!

هكذا هي الحياة، أقل من أن نجري خلفها.

دفاتري القديمة

تأخرتُ عن مقال هذا الأسبوع، لأنني أشعر بتشويش كبير، تحاول السياسة فيه أن تسرق أسطر المقال، فأصارعها وأنتصر، لولا أن ما نحياه يشعرني بوهنٍ شديد.

في ظروفٍ كهذه ألجأ للتفتيش في دفاتري القديمة، لأستخرج منها ما كدت أنساه، وأجتر ذكريات تدفعني للابتسام في عِزِّ الضيق، وهذا بعض ما وجدت..

(1)أبجدية شخص يشبهك:

(أ) أُحِبُّ وطني، لكنني أشعر دائمًا بأنه حب من طرف واحد!

(ب) بريدي ممتلئ دائمًا بالإعلانات والمهملات، وبريدي المهم لا يأتي أبدًا.

(ت) تفاحة أخرجت آدم من الجنة.. ومازلنا نأكل التفاح حتى الآن!

(ث) ثمن الحرية باهظ.. ولا يمكن اقتراضه أبدًا.

(ج) جميع أصدقائي.. ليسوا كذلك بالفعل!

(ح) حروبي اليومية أخسرها جميعًا، لأنها تكون مع زوجتي.

(خ) خوفي الدائم لا يبرِّره سوى أنني لم أعتَد على استمرار السعادة.

(د) دوام الحال ليس دائمًا من المحال.. صديقي وُلِدَ غنيًا، ولا يزال!

(ذ) ذنبي الكبير أنني أظنُّ دائمًا ألا ذنب لي.

(ر) «رحمتي غلبَتْ غضبي».. لماذا ينسى شيوخنا هذا الحديث دائمًا؟!

(ز) زنّة النحلة أفضل أحيانًا من عسلها، فلا تغضب من بكاء أطفالك.

(س) سامحتها، لكنها لم تسامح مسامحتي لها، فلم أسامح نفسي.

(ش) شهوة الكتابة تتلبَّس كثيرًا من الكُتَّاب، فنشعر بالذنب بعد قراءتنا لما يكتبون.

(ص) صورتي الجميلة التي أضعها في كل مكان في البيت.. لا تشبهني أبدًا.

(ض) ضمتك لزوجتك في حضنك بمنتهى الصدق أفضل من كل هدايا الدنيا.. باستثناء الذهب.

(ط) طريق النجاح لا يصل أحد لنهايته، إلا بعد أن يفشل مرَّات عِدة.

(ظ) ظهور الزوجة المثالية في عالمنا العربي.. من علامات نهاية العالم.

(ع) عِلمك الذي لا ينفعك دليل على أنك لم تتعلَّمه أصلًا.

(غ) غريبٌ في وطن لا يُحِبُّ الغرباء.

(ف) فهمتُ أنني لا أفهم إلا متأخرًا، فكففت عن الفهم إلى الأبد!

(ق) قوَّتي تكمن في دموعي.. التوقيع: امرأة عربية.

(ك) كلبك الوفيّ سيأتي يومًا ويعُضُّك فيه، إذا لم تبادله الوفاء.

(ل) لا تقُل أبدًا لا.. لقلبك.

(م) موت الضمير خطوة مُهمَّة لدى البعض، حيث يدركون لحظتها فقط أنهم كانوا يملكون ضميرًا!

(ن) نعم، هي نتيجة أي استفتاء، عدا ذلك الذي يُستفتَى فيه عليك!

(هـ) هدهد سليمان أخبره بما لم يحِط به عِلمًا.. بينما أطفالنا لو شاهدوا هدهدًا لقدموه لنا على الغداء.

(و) ويلٌ لمن لا يدرك أنه لا يدرك شيئًا.

(ي) يفهني بنفسي.. في حاجة لمراجعة طبيب نفسي.

(2)الكُرَّاسة

في صغري.. أحببت فتاة، وكأي مراهق في هذه السن فعلت ما هو مكتوب في «كتالوج» الشاب المراهق. كنت أشتري لها الهدايا وأعطِّرها وأكتب على كارت مرفق معها «أُحِبُّكِ»، وأسجِّل الأغاني التي أتمنى أن تسمعها وأهديها لها في «شريط» كاسيت، لكي تُذكِّرني، وأقرضها رواياتي الرومانسية التي كنت أشتريها، لأبحث فيها عن مفردات جديدة أكتبها لها في خطاباتي.

ثم أخيرًا.. أصبحت أكتب شِعرًا.

أو هذا ما كنت أظنه وقتها، وهو ما جعلني أكتب لها أشعارًا جمعتها في كراسة صغيرة (دفتر)، ثم عطَّرتها وملأتها برسوم لقلوب، والكلمات المنمنمة الرقيقة كتبتها بألوان مختلفة، وبأفضل خط ممكن، ثم أهديتها لها.

وكأي قِصَّة حُب في هذه المرحلة، انتهت قبل أن تبدأ.

لكنني لم أنسَ أبدًا الكُرَّاسة، وبين الحين والآخر، أجد نفسي في حالة فضول، للبحث عن فتاتي القديمة، ليس من أجل حُبّ مضى وانقضى،

بل من أجل أن أعرف ماذا فعلت في الكُرَّاسة التي تحمل بين غلافها بعضًا مِنّي.

(3)دبابيس

*سألتُها: كيف تعرَّفتِ على زوجك الثاني؟ ردّت: كان هو من يقود السيارة التي صدمت زوجي الأول.. وهكذا بدأت قِصَّة حبنا.

*احذر أن تقابل نفسك في لحظة صدق، فقد تكرهك كثيرًا!

*لن تتعلم المشي، إلا إذا وقعت أولًا.

*هناك امرأة أكثر إثارة للسخط من زوجة تعرف الطهي ولا تمارسه.. وهي تلك التي لا تعرف الطهي وتمارسه.

كتالوج الزوجة المصرية ☺

شوف يا سيدي ..

يحار أعتى علماء النفس في تفسير كل ما له علاقة بالزوجة المصرية، وطريقة تعاملها مع زوجها، فهي تشتكي كثيرًا منه، وتقارنه بفترة الخطوبة وما قبل الزواج، مع أنها طرف في المعادلة لا يمكن إغفاله، فلو تغيَّر للأسوأ فلها دور في ذلك، وإن تغيَّر للأفضل – وغالبًا لا يحدث – فيمكنها أن تبوس يدها (وِش وضهر)

شوف يا سيدي ..

الزوجة المصرية قوية لدرجة أن الرجل المصري لا يخاف إلا الله .. وزوجته.

الزوجة المصرية عملية جدًّا، لا يفرق معها (وسامة) الرجل، ولا (أمواله) فهي تؤمن – في الغالب - بالمثل الشعبي الشهير: "خدوهم فقراء يغنيكم الله"، لكن تفرق معها (جدعنته) و (خوفه عليها) و (كلامه الحلو) الذي يعوضها عن كل كنوز الدنيا، وابتسامته في وجهها والتي هي في الأساس في وجه أخيك (صدقة)، فما بالك لو كانت في وجه زوجتك، وفي فيلم أحلى الأوقات تقول زوجة مصرية – للمفارقة أدت دورها باقتدار فنانة تونسية هي هند صبري- أنه لا يفرق معها (البوس) بقدر ما يفرق معها (الحضن) الذي هو بالنسبة لها احتواء وشعور بالأمان، ولا يفرق معها (الكباب

والكفتة) بقدر ما يفرق معها بوكيه ورد مفاجئ من زوجها وبدون مناسبة، اللهم إلا ليرى ابتسامتها وفرحتها.

صحيح هي (رغّاية) لدرجة أن هناك شائعات تقول أن الرجلَ المصري اخترع (التقبيل) ليوقف زوجته عن الكلام، لكنها في ذات الوقت (حمّالة أسية) كما يقال عنها، وب (100 راجل) كما تصف نفسها في الشدائد.

شوف يا سيدي ..

الزوجة المصرية مع كل ذلك لديها صفات غريبة جدًّا في حياتها العملية، فهي رومانسية جدًّا، لكنها لا تيأس من تذكير زوجها بتغطية (قاعدة الحمام) وارتداء (الشبشب) في البيت فقط وليس الشارع، ولا تكلّ من أن تطلب منه أن يأكل بدون صوت، فلو فعلَ نظرَتْ له نظرة الأرضيين لسُكّان الكواكب الأخرى الذين ستتم إبادتهم في التوّ واللحظة، كما لا تنسى هذه الزوجة العظيمة أن تؤكد على التفريق بين (الفوط) المختلفة، فهناك فوطة للوجه فقط، وهناك فوطة للأيدي فقط، وهناك فوطة للاستحمام فقط، وهناك فوطة لمسح القدم بعد غسلها، وفي الواقع زوجها لا يعبأ بكل ذلك ويستخدم فوطة واحدة لكل الأغراض على اعتبار أن في كل ذلك مشقة، بينما تعبأ هي وتتعب نفسيًا أحيانًا لأن ذلك يكشف لها أنها لم ترتبط بفارس أحلامها، ولا حتى بعريجي أحلامها، بل برجل بدائي كان يعيش مع القردة على الجبلاية، على اعتبار أن القردة وحدهم هم من يستخدمون فوطة واحدة لكل الأغراض السابقة، مع أغراض أخرى لا يليق أن نذكرها في هذه السطور.

تغار الزوجة المصرية في أوقات فراغها - وهي كثيرة بالمناسبة -، لكنها ردود أفعالها يجب الحذر منها جدًّا جدًّا جدًّا، فهذه الزوجة التي تنتقدك دائمًا لأنك تحتضن (المخدة) وأنت نائم، وتطالب بمعاملتها بالمثل.

هذه الزوجة التي تخاف من كل الحشرات الزاحفة والطائرة، ويمكن لصرصار صغير أن يريك إياها وهي في أقصى درجات الرعب.. هذه الزوجة التي تطالبك بأن تقول لها كلمات رومانسية بينما يشتكي لك الشارع من صوتها وهي تنهر أبناءكم لأنهم لم ينتهوا بعد من عمل الـ "home work" ، هي نفسها التي يمكن أن تقتلك شر قتلة لو عرفَتْ أنك تخونها، وتنفرد وسط زوجات العالم بطريقتها المبدعة في القتل، فأحيانًا تُقطِّعك بالساطور وأنت نائم ثم تعبّئ أجزاء جسدك في أكياس بلاستيكية نظيفة، قبل أن ترمي كل كيس في منطقة مختلفة، وتدّعي أنك سافرت دون رجعة، وتبكي من أجلك بشدة، وكأنها تقتل القتيل وتمشي في جنازته (راجع صفحات الحوادث)، والغريب أنها قد ترضى بأن تخونها مرّة، على اعتبار أنها نزوة قد تسامحك عليها، لكنها أبدًا لا تقبل أن تتزوج عليها، رغم أن خيانتك (حرام) وزواجك (حلال)، لكنها لا تستطيع –في أغلب الوقت– أن تقبل كونك متزوجًا عليها، وتعتبر ذلك أكبر من أي خيانة.

وتشتكي منك الزوجة المصرية باعتبار أنك غير متعاون، لا يعلّق ملابسه على الشماعة، ويخلع حذاءه داخل الشقة بعد تنظيفها الذي استنزفها، لكنها في نفس الوقت (بتعيش)، وراضية وقنوعة بأي حال، وآخرها (خناق) على الماشي، دون أن تكره عيشتها مهما كانت الظروف.

ولا يفرق مع الزوجة المصرية ذهب العالم، لكنها لن تمانع في الحصول على ذهبك أنت.

كما أنها تغضب من التفاصيل الصغيرة التي تنساها، مثل دبلة زواجكما التي تلتقطها لك دائمًا من البانيو أو حوض الحمام، ويوم عيد ميلادها وعيد زواجكما، والذي يتحوَّل إلى معركة كبيرة لو نسيته.

صحيح هي كثيرة المناسبات، وهو ما يفرض عليك أن تتذكر دائمًا تواريخ هامة في علاقتكما، لاسيما وهي تبدأ حوارها معك بالجملة الشهيرة "النهاردة ما بيفكركش بحاجة" لتبدو وكأنك في اختبار القبول بإحدى كليات القمة وأنت تعتصر ذهنك باحثًا عن هذا اليوم في مفكرتك، وهو ما يمكن أن تستعيض عنه بتسجيل كل المواعيد على الموبايل، ليذكِّرك بها فتتقي نفسك معركة هذا اليوم، إلا أنها رغم كل ذلك تبقى من أفضل وأوفى الزوجات في العالم.. في العاااالم (الله يسامحني بقى)

عن مصر التي تنفّض السجاجيد

هذا هو وقت فرض الطوارئ في البيوت المصرية، تقرِّر الست المصرية فجأة - سواء كانت أمًا أو زوجة - أن تقلب الشقة عالها واطيها (عشان العيد).

هذا هو الوقت الذي تقرِّر فيه الست المصرية غسل السجاجيد بضمير لو توفر في موظفي مصر لأصبحنا ضمن أفضل دول العالم في الإنجاز، ويا ويلك لو طلبت منها أن تذهب بالسجاجيد عند (الدراي كلين) لأنها ستعتبرك مبذرًا (دول بيحاسبوا بالمتر)، كما أن مستوى غسيل سيادته للسجاجيد لن يرضيها حتى لو اشترى لها سجادة جديدة.

في هذه اللحظات ستبدأ حتمًا في القلق من زوجتك أو أمك –على حسب صلة القرابة- والتي ستحمل السجادة لنشرها في الشمس، وحين ستطلب منك مساعدتها لن تستطيع حمل السجادة المبلولة وحدك، بينما هي ستبتسم ساخرة وتلعب دور الشحات مبروك حاملة السجادة على كتف واحد!!

فكّ الستائر، ومعاونتك المفروضة عليك لاعتبارات تتعلق بالاستقرار والسلام الأسري سيعلِّمك التفرقة بين أنواع حلقات الستائر، ويدرِّبك على الصبر، وتقوية عضلات الأصابع، ويعلمك إن "اللي مارباهوش أبوه وأمه.. تربيه الحكومة.. التي هي زوجتك."

مراقبتك لها وهي تصبّن الشيش ستجعلك تدرك أننا لا نشم هواءً نقيًّا، وأن كلمتنا الشهيرة (نكُحّ تراب) ليست على سبيل المبالغة، وستتحول حينها إلى الرجل الذي يجب أن يخلع ضلف الشيش بمهارة وكأنك وُلدت نجّارًا أو حرامي غسيل، ووقت فشلك لا تتعجب حين تسمع المقولة الشهيرة التي صكتها النساء من غزال في فيلم حماتي ملاك: "يوووووووووه.. ده انت نيلة أوي."

لابد من خسائر في المنزل آنذاك، كأن تقع بفعل الأرض الزلقة المليئة دائمًا برغاوي مسحوق الغسيل وشامبوهات السجاجيد، وتظَلّ تتألم بينما هي تضرب كفًّا بكفٍّ على الرجالة "الخيخة" الذين لا يستطيعون الحفاظ على توازنهم على الأرض بفعل الصابون، وكأنها مهارة ينبغي تعلُّمها قبل الزواج، وحين تتألم ستكون هذه إشارة بأن تبدأ في سماع أسطوانة تتكرَّر بنفس الحذافير.. بنفس الجُمل.. بنفس التشبيهات.. بنفس الأداء المسرحي.. بنفس (النيرفـ) عن الستات اللواتي يتحمّلن البيت والعيال وطلبات الزوج وعملهن - إذا كنّ يعملن - دون أن تشتكي لأحد (حمّالين أسية والله).

ستتعامل معك على اعتبار أنك تلقيت دورات في السباكة والنجارة والكهرباء، ولذلك لا تندهش إذا طلبَتْ منك (تسليك) الحوض، أو تنظيف (البيبة) لأنها ستبدأ في (عمايل الفطار)، وحين ستفشل في أي من هذه المهام ستواصل استماع باقي الأسطوانة، وتحديدًا الجزء الذي يبدأ بـ (هو انا عمري ما اطلب حاجة للبيت منك وتعملها)، وللأسف، ستتحمل كل هذا الابتزاز العاطفي من أجل العيال، وارتفاع أسعار الفلبينيات (ما انا الفلبينية اللي انت جايبها يا باشا)!!!

زوجتك الجميلة، أو أمك الأجمل ستكتشف مدى قوتهما في مثل هذه الأيام تحديدًا، وهما تعدان خلق النظافة في الشقة التي تعيش فيها سعادتك، ولن ينتهي الأمر بهذه السهولة إذا كنت من سكان المناطق الشعبية، حيث ستصرُّ الحاجة على (عمايل) الكحك بنفسها لتكون (اللمة) الكبيرة والكل يعجن أو (يقرّص) أو (ينقش)، وماكينة (البيتيفور) التي تستلفها إحداهما حتمًا من جارتها بعقلية (وانا اشتريها ليه دي هي مرّة واحدة في السنة اللي بنستخدمها) قبل أن تتخانق مع (أم فلانة) صاحبة ماكينة البيتيفور فتشتري واحدة لها بمبدأ (كله على شبشبي)!!!

في وسط كل ذلك أنت مبسوط.. تشعر بتقدير غير محدود ومحبة لا تنتهي لأمك وأختك وزوجتك وابنتك، ليس لأنهن يقمن بما تندهش لكونهن يقمن به، لكن لأن الحياة بدونهن لا تساوي شيئًا. في وسط كل هذا أنت تحاول أن (تفصل) عن كل ما يضايقك، تحاول ألا تتابع (القرف) الذي يأتينا عبر التليفزيون والصحف، محاولًا أن تستريح قليلًا في هدنة تعرف أنها لن تطول، وفي محاولة حقيقية لنسيان العالم برؤيتك لابتسامة طفل، أو فرحة أم، أو تذكر أن مصر حلوة بجد، بس احنا اللي وحشين مع بعض.

يعني إيه (شتا) ف مصر؟؟

لماذا نُحِبُّ الشتاء أكثر من الصيف؟؟

هناك إجابة لطيفة كنا نقولها زمان، وهي أن الشتاء بالبرد بالمطرة بحاجاته ومحتاجاته كلما تغطيت فيه تشعر ب(الدفا)، بينما الصيف مهما قلعت.. تظَلُّ تشعر بالحَرِّ، كما أن للصيف بلاويه، واللي بيحصل فيه!!

حسنًا.. هذه الإجابة تغيَّرت الآن، فمِن الواضح أن الـ (شتا) أصبح بدون مواعيد، وهو يتأخر، ويأتي على مزاجه في مصر لأسباب لا يعلمها إلا الله، رغم أنه يبدأ مناخيًا من وقت مبكر، لكنه عندما يأتي يعوِّض ما فاته.

الشتا عندنا متلازم مع الحزن، وقصص الحُبِّ التي تنتهي بلا سبب، وفراق الأحباب الذين تبكي عليهم السماء فيما يسميه الناس أمطارًا، بينما القلب يرتجف مهما حاول البعض التخفيف عنه، وعلي الحجار يشدو: "لما الشتا يدق البيبان"، وتبدأ في البكاء حين يصل للمقطع: "مش جاي ألومك ع اللي فات.. أنا جاي اصحي الذكريات.. لكني بحتاجلك ساعات.. لما الشتا يدق البيبان". و(الشتا) أستاذ في إيقاظ كل ذكرياتك، لكنه يبدأ دائمًا بالمؤلم منها، وأنت تستسلم لذلك وتتلذذ به لسبب لا تفهمه، كما أنك تستأنس بصوت فيروز في الشتاء أكثر من الصيف، وتبحث جاهدًا عن أحمد منيب وهو يغني: "الدنيا برد.. وعم خليل بيسقي الورد".

والدنيا ما زالت بردًا، وعم خليل لم يعد وحده، والشتاء يقذف في قلبك الرحمة وأنت ترى عُمَّال النظافة في عِزّ البرد يكنسون الشوارع، وطياري الديليفري يأتونك في أي مكان بما لذ وطاب لأن أكل العيش مُر، بينما انت تأكل "بيتزا سوبر سوبريم".

الشتاء عندنا متلازم مع (تعب العيال) ومشاوير الدكاترة، والكُحَّة والأدوية، ومصر التي تغرق في (شبر مية)، لأن الجميع يردد كل عام أن اقل أمطار تجعل الشوارع سابحة في بِركة لا نتخطاها إلا بألعاب اكروباتية تجعلنا نضع الأحجار على مسافات متباعدة، لترى المصريين وهُم في قمة رشاقتهم يقفزون بين حجر وآخر، وكأنه اختبار القبول لعبور الشارع، بينما دائمًا أبدًا هناك ولد ابن 60 في 70، يقف في مكان ما، وينتظر قفزك وسط البركة، ليرمي بحجر كبير يطرطش عليك المياه ويجعلك تبتكر شتائم جديدة تلقيها على الولد الذي يجري وهو يضحك بعد أن حقق إنجازه الأكبر ورأى سعادتك غرقان ومليان طينة!! بينما الكل (يطنش) كل الاقتراحات الخاصة بشبكات تصريف مياه الأمطار، لترى الناس في الشوارع سكارى، وما هم بسكارى، لكنه الخوف من الانزلاق!!

الشتا يعني رائحة الأسفلت في الشوارع بعد المطر، والخشب المحترق، واتفضل شاي التي يقولها لك كل من جلس ليتدفأ في عِزّ المطر، والشجر الذي غسله المطر، ودوشة العيال الصغيرة أثناء خروجهم من المدرسة وهم يتصايحون: "يا مطرة رخي رخي!!"

الشتا يعني شوربة العدس مع الليمون والبصل، حمص الشام مع كثير من (الدقة)، أبو فروة الذي يشويه الجميع، ودخنة عربية البطاطا

السخنة، وطبق البليلة الملهلب، والبخار الذي يفرح الأطفال بالخروج من أفواههم في الصباح الباكر وينهرهم الأب لأنهم يظنونه دخانًا مثل دخان السجائر، باجور الجاز الذي كانت تشعله أمك في (الأوضة) حتى يدفئ الشقة كلها، وأنت تفرك يديك في تلذذ بعد أن تقربّها من النار، وتشخط فيك أمك حتى تبعدها بدلًا من أن تموت محروقًا!!

الشتا قبل السخّانات الكهربائية كان (بستلة) مية كبييييرة يتم تسخينها على الباجور الجاز أو (الفتايل) وفي أقوال أخرى (الشرايط)، وتقفيل الشقة كلها بإحكام، ثم الطشت والكوز، ولنبدأ في (الحموم) في يوم الحموم المنزلي ☺

الشتا يعني حملات الخير لتوزيع البطاطين على كل من يحتاجها، وبنزولة للوكالة ستجد معها أن البطانية تبدأ من 35 جنيهًا مصريًا (يا بلاش)، وستعرف - ويا للصدفة - أن هناك من لا يمتلك رفاهية أن يشتري بطانية، أو يبني سقف بيته من المسلح بدلًا من الخوص وعروق الخشب التي تجعل مياه الأمطار تدخل بيته البسيط ويقوم بتجميعها في (حلة) صغيرة هجرها الأكل ولا تتسع لكل هذه المياه، ولذلك فالشتا بيحب الخير، وانت وذوقك.

الشتا هو لِبس الصوف من تحت الهدوم، ومن فوق الهدوم، وبين الهدوم، حيث يعرف الجميع صنفًا جديدًا من الملابس هو (الكالسونات)، ويتألق (الهاي كول) على الرقبة، وتنتشر (الزعابيط) في الشوارع مع السويترات الجلد، وأحذية المطر "البوت" الطويلة التي تشعر وأنت ترتديها بأنك رجل إطفاء حرائق في طريقه لإخماد حرائق غابات السافانا، وبينما أنت كذلك تجد أحد السياح يرتدي الملابس الخفيفة على اعتبار أن

(بردنا) أدفأ من (بردهم)، وإن الشتاء عندنا هو (فوتوشوب) بالنسبة لهم. وفي هذه اللحظات يزداد احترامك للبطريق والدببة القطبية الذين يقضون أيامهم دون ملابس أصلًا.

الشتا ف مصر.. ولا أي شتا.

اكتشافات الـ 33

اليوم أتِم عامي الـ"33". ولهذا أحببت أن أشاركك بعض الاكتشافات العظيمة التي اكتشفتها خلال الـ "33" عامًا الماضية.

- أول ما تستقبلنا به الدنيا هو (صفعة) على مؤخراتنا، وأول ما نستقبلها به هو (الصراخ)، وهو ما يثبت أن الصفع أحيانًا يهديك الحياة، وأن الصراخ قد يكون دليلًا على كونك حيًّا.

- تثبت لك الحياة دائمًا أنك لم تتربَّ بالشكل الكافي لمواجهتها أو فهمها.

- أغلب أبطالك.. إما أنهم آليين وكائنات فضائية، أو شخصيات تاريخية لا يوجد ما يثبت بطولتها سوى مؤرخين ستفهم حين تكبر أنهم كتبوا عنهم من (وجهة نظرهم)، وبالتالي أنت بلا أبطال، ولا يوجد من يستحق أن يكون قدوتك، اللهم إلا إذا كنت مصممًا أن تكبر لتصبح (مازنجر)، بينما الزمن يثبت لك أنك تكبر لتصير (بقلظ).

- هناك (ردح) غير يسير من الزمن يُقدَّر بأعوام تضيع من عمرك وأنت تحاول أن تثبت أن الشكل الموجود أمامك (رباعي دائري)، وتعلِّل سبب سقوط الأمطار في أثيوبيا، وتسمع عن معمل علوم لا تدخله، وتسمع عن عملية (النتح)، وغالبًا يقال عن هذه المرحلة أنها تعليم، رغم أنك ترمي كل ذلك في أقرب صفيحة زبالة مدركًا أنه (حشو) و (كلام فارغ) ولا يفيدك لا في حياتك ولا في آخرتك.

- في فترة من فترات حياتك ستشعر أنك تحب فتاة (بنت الجيران – مربيتك – نجمة تليفزيون – أي أنثى حتى لو كانت أنثى (فرس النهر)، لكنك ستكتشف أن هذا لم يكن بحُبٍّ كلما دخلت في تجربة تالية.

- بقايا صينية المكرونة بالبشاميل التي تبيت ليلتها الأولى في الثلاجة سيكون طعمها رائعًا إذا أكلتها هكذا.. (ساقعة).

- التدخين مُضرّ جدًّا بالصحة لهؤلاء الذين لا يدخنون، بأمارة أنك لم تقابل في حياتك شخصًا مات من التدخين.

- لن تحب أم كلثوم أو عبد الحليم حافظ بسهولة، بينما سيحدث ذلك دون إرادة منك مع شخص مثل محمد فوزي.

- هناك مفردتان لا تندثران أبدًا من حياتك وحياة كل المصريين.. الدين والشتيمة!!!

- كلما تعلّمت، كلما أدركت خطأ معتقداتك القديمة عن (عيب) أن تذكر اسم والدتك، لأنه (فخر) لك.. لكنك مع ذلك لن ترضى أن تقول اسم (امك) أمام أحد.

- نحن نجيد نُصح الجميع.. عدا أنفسنا.

- نحن لا نقبل التوبة.. أبدًا.

- أنت تصدق ما تريد تصديقه بغض النظر عن كونه الحقيقة أم لا.

- هناك أسطورة تقول إنك حين تكبر.. ستعرف.. حسنًا، لتعترف: ضحكوا عليك يا اهبل.

- لا تظن أن الشطارة هي أن تعيش كثيرًا. فكلما عشت أكثر، كلما فقدت العديد من أحبابك أمام عينيك.

- بالنسبة للست فيروز التي أحببتها جدًا، ستراجع نفسك بشأن العديد من أغنياتها في لحظات غريبة ومذهلة، فمثلًا: كيف: "حبوا بعضن ..تركوا بعضن" بهذه السرعة، وهل حضرتك شايفة انك لما تقولي: "حبوووووا..تركوووووووا"، أبقى انا كده فهمت حاجة!!!

- كل هؤلاء الذين يقولون لك إن الكذب حرام، يمارسون عليك الكذب في كل وقت.

- مفيش حد صالح.. كله بتاع مصالح.

- لا يوجد موتٌ رحيمٌ.. كل الموت مؤلم، إن لم يكن في السَكَرات، ففي المرحلة التي تدرك فيها أنَّ أحِبَّاءك قد ماتوا وقد فارقتهم، والموت الأشد إيلامًا يكون دائمًا مع هؤلاء الذين لازالوا يعيشون.

- من الصعب أن تجد صديقًا حقيقيًا في هذا العالم.. ماذا؟؟.. أنت وجدته؟؟ اصبر قليلًا وسترسل لي مؤكِّدًا على عبقريتي خلال أيام.

- يولد الإنسان في مصر أهلاويا.. ثم يتدخل القدر لصالحه أو ضده.. انت ونصيبك.

- أبناؤك هم أفضل استثمار.. استثمر فيهم بدلًا من أن تفتح محل موبايلات.

- خدمة العملاء الخاصة بموبايلات"htc" أسوأ بكثير من خدمة العملاء في حلواني العيسوي اللي ف أول شبرا، وغالبًا كل من يقتنون هذا

النوع من الموبايلات من هؤلاء الذين كانوا يسرقون منهم الساندوتشات في المدرسة ويشربون من زمزميتهم بالعافية.

▣ إذا استعنت بالله بصدق.. في شيءٍ يخُصُّك.. والله لن يخذلك أبدًا.. مهما كنت ابن 60 في 70 وما تستاهلش.

مقال من بتاع زمان

⍰ أحِنُّ إلى زمنٍ، كانت أكبر خناقات الأصدقاء فيه بسبب أن أحدهم (رنَّ) على الآخر، والتاني (فتح) عليه.

⍰ أحِنُّ إلى زمنٍ كانت أكبر الفازك فيه هو أن تعرف من هو ذلك الرجل الذي يقول في كل صلاة جمعة منقولة عبر الإذاعة: عشان خاطر ستنا الرئيسة العفيفة الشريفة ستنا السيدة زينب.

⍰ أحِنُّ إلى زمن كان أفضل من يرقص فيه هو"عصام الحضري" فوق العارضة.

⍰ أحِنُّ إلى زمنٍ كان أقصى (معاكسة) فيه للبنات أن تقول لإحداهن: شنطتك مفتوحة، وما إن تنظر فيها حتى تكمِّل: فيها سمك وملوحة!!!، أو أن تقول لشِلة بنات من بتوع المدارس: أحلى بنت فيكم اللي لابسة جزمة حمرا، فتنظرن جميعًا إلى أحذيتهن ولا يجدن أي جزمة حمرا!

⍰ أحِنُّ إلى زمنٍ كان القارئ فيه يتناقش معك أولًا قبل أن يشتمك بالأب والأم، بعكس الآن، يشتمك بالأب والأم ويخونك ويهينك ويشكك فيك، ثم (قد) يتناقش معك.

⍰ أحِنُّ إلى خُبز أمي (محمود درويش).. ومحشي كرنب أمي (محمد فتحي).

⍰ "المصري لا يخاف إلا الله .. "وأمه، وزوجته، ومديره"

في الواقع: "المصري لا يخاف إلا الله ..وآخرين"!!

■ أي راكب لمترو الأنفاق سيشعر وهو يرى هؤلاء المسكين بالمصاحف والأناجيل بالفخر، مؤكِّدًا لنفسه أن المصري متدين بطبعه.. ثم سرعان ما سيكتشف – بعد قليل - أن المصري متحرِّش بطبعه أيضًا.. وكل أنواع التحرُّش يا مؤمن.

■ تقول المرأة لزوجها: أنتم لكم في الجنة الحور العين.. إحنا لينا إيه؟؟ فيردّ الزوج: وهو فيه ستات هتخش الجنة أساسًا؟؟!!

■ ترشيح «بن أفلابك» لأداء دور «باتمان» في الفيلم الذي سيجمعه مع «سوبرمان» في (2015)، يعطي الأمل للفنان «أمير كرارة» في أداء دور سوبرمان، والفنان «أحمد عبد العزيز» في دور أحمد عبد العزيز.

■ هذا زمن صعب لا تستطيع أن تُفرِّق فيه بين جريدة الدستور وكرّاسة الأول.

■ اكتشف الكاتب فجأة.. أنه لم يذهب في حياته إلى الساحل الشمالي، ولا مارينا، ولا الغردقة، ولا شرم الشيخ، ولا العين السخنة، ولا راس سدر، ولا راس البر، ولا حتى الكبريتاج، وعادي جدًا.. عايش (تعبت من المفاجأة، ونزلت دمعتي).

■ اكتشف الكاتب فجأة.. أننا زمان كان لدينا مصطفى إسماعيل، والمنشاوي، والبنا، والحصري، والطبلاوي، وعبد الباسط عبد الصمد، والشعشاعي، وشعيشع، وعبد العزيز علي فرج، وأبو الفرج الشاذلي، وشعبان الصياد وأحمد نعينع، وراغب مصطفى غلوش، وعبد العظيم زاهر، والشحات محمد أنور.. أما الآن، فلا يوجد لدينا أحد!!! (تعبت من

المفاجأة برضه، ونزلت دمعتي)، واللي هيقول لي جبريل بعد الأسماء الماضية، غالبًا هشتمه.

- مصروفات المدارس الخاصة غالية جدًا.. وبدون تعليم.. أومال لو بيعلموا (مش مفاجأة.. بس نزلت دمعتي).

- آخر كلام:

يبديك لي.. ما ليس لي.

يبديني لك.. ما تشتهي.

هذا الهوى.. ما عاد لي.

هذا الهوى..فلينتهي.

زياد رحباني بيصبّح

الكلام عن زياد رحباني وعبقريته في (المزيكا) كلام مكرر، لذا سأرحمكم منه، وأقدِّم لكم نسخة تويتر من زياد رحباني، عبر تغريداته الجميلة التي تليق بصباح جميل ومختلف بعيدًا عن (قلبة المخ).. وبطعم مختلف ونكهة ساخرة فلسفية رائعة.

استعدوا للتحليق.. ها هو زياد رحباني يكتب لكم بالعامية اللبنانية.

- ما فيك تَعرف إيدَك الشمال أديش كاين تستَعملها إلّا مَ تكسرها
- أنا نَزّلتِك تشتغلي، عَ أساس بِ زيد مَدخولنا.. مش مَصروفنا
- مش معقول الإنسان يكون أصلو قرد... القرود نفسيتن حلوة.
- شو فارقة مَعي إذا سكّان الأرض ٧ مليار، لَ طالمًا ما عَم شوف غيرك بِ خلقتي كل النهار؟
- أنا مش كل مرّة خَبّروني نكتة وضحكت كانت النكتة بتضَحِّك.. طَيِّب شو؟ إنّو بَدَّك تعمل مشكل عَ نكتة بايخة؟
- مَع إنّو تمِّك قَد الفستقة، كيف قدرتي بَلَعتي هَالراديو ما بَعرِف
- بُكرا بيكبَرو الولاد وبيَعرفو إنّو الهَمبرغر الطَّيِّب داخلَو كاوتشوك
- ليليّة، كل مَ جَرِّب إمبسط بِ نَومتي.. بغفى..

- أوقات بيتهيألَك إنّو خَف الإستغلال.. إيه ما بِكون خَف.. بتكون حَضرة جنابَك تعَوّدت عليه.

- أنا تجَوزتك عَ أساس بتوقّفي مَعي بِ آخرتي.. بَس مش إنّو إنتي تجيبيلي آخرتي.. يمكن إنتي ما فهمتي علَيّي وقتها..

- تعَرّفت عَ واحَد مخّو بِسَكّر نهار الأحَد، وأيّام الأعياد. متل المحَلات تمامًا..

- خَلّيك عَم تقرا الجَريدة، حَتى ولَو ما عَم تفهم شي بالوضع... خَلّيك، ثابر عالجَريدة، لأنو هي وَسيلتَك الوَحيدة لَ ما تفهم شي، وحجّتك مَعَك..

- لازم بالأخبار يقولو عَن الأخبار قَبل ما تصير، مش بَعدين..

- النوم پروڤا لَ الموت.

- كل المحاولات لَ تصليح هذا البلد باءت بالفشل، و باقة الفشل أرخص من باقة البقدونس!

- هاي بلد؟ لأ مش بلد.. هاي قرطة عالم مجموعين مَجموعين؟ لأ.. مَطروحين؟ لأ.. مَضروبين؟ لأ.. مَقصومين.. إيه قوم فوت نام وصير حلام.

- ممنوع أي حدا، أي مواطن يقول انو عايشين عيشة كلاب، ليكو يا اخواتي الكلاب عايشين وصدقوني آخر همهن راسن مرتاح وماشي حالن انتو عايشين عيشة لبنان.

- ما تسألني شو حاسس، وَقّفنا الشعور، وَقّفنا العواطف، وخصوصي الحَنين.

▯ إنتِ مَعِك خَبَر إنّو رَح تاكلِ أصابيعِك نَدامة وَرايي؟

▯ كل ما بتسألني كيفك بتذكر إني مش منيح.. بتعرف؟ لو بلا هالسؤال؟

▯ كَتَبت شو عايِز أغراض على ورقة كرمال ما إنساهُن.. بَس نسيت الورقة.

▯ قوم فوت نام وصير حلام إنّو بَلَدنا صارت بَلَد.

▯ ولِك لَ تَعمل ثَورة عالنظام، لازم أوَّل عَ آخر يكون في نظام.. أيّا نظام!

▯ يا حَبيب الرَّوح شو عَم بتسَوّي؟ ساعة بتخَفِّف ساعة بتقَوّي.

▯ شو بِدك تحكي ل تحكي؟ حدا بيحكي مع رشاش؟

▯ وقد أسفر الحادث عن مقتل خمسة أشخاص جنوب اليمن، من بينهم تسعة جنود أميركيين..

▯ أهَم شي الصحة طبعًا، بَس الصحّة لَ وَحدها ما بتكَفّي.. بَدَّك تطعميها خبز للصحّة.

▯ فيك تحلّ عَن التراث؟ يلعنلَك هالراس.

▯ سامع بالرّيحة الطَّيبة؟ فيك تفرقنا بريحة طَيبة؟

▯ إيه في أمَل.

تفاءل يا كئيب

يا أخي تفاءل.. مهما كانت الدنيا سوداء أمام عينك، تفاءل

مهما كنت لا ترى إلا كآبة المنظر وسوء المنقلب.. تفاءل

تذكَّر أن ربنا سبحانه وتعالى موجود .. ولذلك تفاءل

لو زهقت من الدنيا، فرصة تفكر في الآخرة، وتتفاءل

المصائب والابتلاءات قاعدة، ولا يوجد إنسان سعيد في العالم دون شوائب. لا توجد سعادة بيور لو انت مين، وكل مصائبك لا تأتي صفر على شمال مصائب وابتلاءات حدثت مع أنبياء ورسل، ومن أنت بجانب ملائكة ورسل؟؟، ولكنك (مأفور) في كل ما يحدث لك، ولو كنت نبيًا ما حرمك الله من المصائب والابتلاءات، ومع ذلك أنت زعلان ومكتئب رغم أنك لم تخرج من الجَنَّة مثل آدم، ولم يقتل أحد أبنائك الآخر مثلما حدث مع قابيل وهابيل، ولم تكن مصيبتك في ولدك كما كانت مصيبة نوح مع ابنه الذي رفض أن يؤمن به وقال أنه سيأوي إلى جبل يعصمه، ولم تُلقَ في النار مثل إبراهيم، ولا أمرك الله بذبح ابنك مثل أبي الأنبياء، ولا كنت أنت الذبيح فقلت لأبيك افعل ما تؤمر وستجدني إن شاء الله من الصابرين مثل إسماعيل، ولم تفقد ابنك بمكر من إخوته مثلما حدث مع يعقوب، ولم يلقِك إخوتك في غيَابَة الجُبِّ مثلما حدث مع يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم الذي كان نبيًا ابن نبي ابن نبي ابن نبي، ومع ذلك دخل السجن، واتُّهِمَ في شرفه وعرضه، ولكن

الله جعله فيما بعد على خزائن الأرض، في قصة حقيقية هي من أحسن القصص، ولو رأيتها في فيلم هندي لم تكن لتُصدِّقها، لكن الله عَزَّ وجلَّ أرادك أن تتعلم، وأن تتفاءل، فتفاءل..

لم يخرجك أهلك من قريتك لأنك وأهلك (أناسٍ يتطهرون) كما حدث مع نبي الله لوط، ولا عشت عمرًا في الظلام في بطن الحوت لا ترى أحدًا ولا تشعر سوى بالخوف والجزع، ولا تملك من أمرك سوى الدعاء، ولا ابتلاك الله بمرضٍ لازمك أغلب عمرك فصبرت عليه مثل أيوب الذي مسَّه الضُر، فتفاءل يا أخي وتذكَّر أن أشد الناس ابتلاء هُم الأنبياء فالأمثل فالأمثل، وحين تدرك هذا المعنى.. تفاءل.

انظر لما كنت عليه وما صرت عليه، وستجد أنك لابد أن تتفاءل، تذكَّر أنك كنت قبل ثلاثة أعوام أو يزيد لا تهتم سوى بسفاسف الأمور، أما الآن فأنت شايل هم الدنيا والبلد والدين والناس والوطن، لمجرَّد أنك عرفت.. صحيح أن المعرفة لعنة، لكن وجهها الآخر جَنَّة، وحُسن تفكُّر في الجَنَّة.. تفاءل.

انظر لابتسامة أطفالك وتفاءل.. تذكَّر خيرًا فعلته لم تكن تظن أنك قادر عليه لكن الله جعلك بطلًا للحظة سحرية كلما تذكرتها قلت سبحان الله، لا لشيء إلا لتتفاءل.

ابحث عن فرحتك في كل تفاصيل حياتك وتفاءل.. جرب تأكل آيس كريم الآن.. اطلع على الحسين.. افتح اليوتيوب على تتر مازنجر.. انظر إلى صورك القديمة.. اتصل بصديقك الذي تشعر دائمًا بالتقصير في حقه.. شاهد هدف أبو تريكة في الصفاقسي في الوقت الضائع، وقبِّل يد أمك أو

ادع لها بالرحمة، ومرِّر يديك على رأس طفل يتيم، أو اذهب لزيارة 57357، ولتشارك في مباراة كرة قدم أمام أي مدرسة مع العيال المزوّغين، واحمد ربنا انك بني آدم ولست طحلبًا أو سلحفاة بحرية أو طائر بطريق كل حياته عبارة عن حموم، وابتسم قليلًا، وتفاءل.

تذكُّر (تفاءلوا بالخير تجدوه) وستجده، وكُنْ على يقين بأن بعد العُسرِ – أيًا كان ومهما طال– يُسرًا، وصدقَ ربنا سبحانه وتعالى حين يقول:"ولسوف يعطيك ربك.. فترضى".. وتفاءل.

زمن الشائعات الجميلة

ولنعترف أننا نحب الشائعات بطبعنا، ونميل لتصديق أي شيء ولو كان أن الميت صحا وأهله ماتوا من المفاجأة، بل أحيانًا نحكي الخبر بطريقتنا لنصنع شائعتنا الخاصة، ولا أزال أذكر أستاذي "د.كمال القاضي"- شفاه الله وعافاه - وهو يدرّس لنا منهج الدعاية والحرب النفسية، وتحديدًا في محاضرة الشائعات، وكيف نشارك في صُنعها بأنفسنا، فأخرجَ ورقة وكتب فيها خبرًا، ثم طلبَ من أول طالب أن يقرأه في سره، ويحكيه للطالب الذي يليه، ثم يقوم الطالب الذي يليه بروايته للطالب الذي يليه، حتى يتم إبلاغه للدفعة كلها، وحين طلبَ من آخِر طالب أن يقول الخبر بصوتٍ عالٍ أمام الجميع كان يقول خبرًا مختلفًا تمامًا عن الخبر الذي كتبه أستاذنا في البداية.

ومع ذلك شائعات زمان (ولنتعامل مع زمان من هنا ورايح على أنه ما قبل 2011) كانت شائعات دمها خفيف يمكن أن تبتسم الآن وأنت تتذكرها، وتتذكر تصديقك لها آنذاك.

لم تكن شائعات تخوض في العِرض والشرف، إلا قليلًا، بعكس شائعات الآن التي يشترط لانتشارها أن تخوض في العِرض والشرف حتى منتهى القرف، ولأذكّرك بإشاعات زمان التي يمكن أن تتسلى بذكرياتك معها وقت الحظر، أو تضيف إليها من ذكرياتك في حياتك على سطح هذا الكوكب.

- الفنان محمد صبحي مسيحي!! وأمه أسمته محمد حتى يعيش، لأن أولادها كانوا بيموتوا!!!

- البنت اللي اتسخطت في الشرقية.. كانت لا تسمع كلام أبوها وامها، وداست على القرآن برجلها فاستيقظت لتجد نفسها مسخوطة ونشروا صورتها في الجرايد (طوبى لجريدة النبأ).

- الشيخ الشعرواي لما مات أتى لأحد تلاميذه في الحُلم وأخبره أنه في الجنة، وقال له أن الدليل على ذلك (شعرة) موجودة في كل المصاحف!!!

- صورة الكعبة الشريفة عندما تطويها وتقرّبها من أذنك تسمع التكبيرات والتلبية وكأنك هناك!!

- أحزمة تباع في العتبة مستوردة من إسرائيل والهدف منها تدمير الخصوبة عند الرجال المصريين!!!

- خطف الأطفال وقتلهم وطحن جماجمهم للاستفادة منها في صناعة الهيروين.

- شفت ماتش المصارعة بتاع (هوجان) واخوه اللي كل (دراعه) فيه!! يا رااجل.. ده انا ابن خالتي شافه.. بس هو عندهم فيديو واحنا لأ فانا ماشفتوش !!!

- سبحان الله يا أخي.. الشجر اللي ف ألمانيا طالع على شكل لا إله إلا الله!!! وادي الصورة أهه (اتضح طبعًا أنها صورة مرسومة).

- فيه واحد عضه كلب واتسعر وعض ابوه وامه وبعدين (هوهو) ومات!! جابوها في الجرنان!!

- صدّام وعَدَ مبارك بمفاجأة هيبعتهاله ف صندوق!!!

- د.مصطفى محمود بتاع العلم والإيمان طلع في برنامجه وقال نمرة لليهون الشيطان ست ستات 666666.. ناس كتير اتكلمت ورد عليها على الفكرة!!

- لاعب المصارعة الشهير باتيستا أشهر إسلامه وكتب على ذراعه (لا إله إلا الله).. فيما بعد ستتكرر نفس الشائعة مع أكثر من مصارع مثل الحانوتي وجون سينا!!

- تمَّ القبض على المطرب بهاء سلطان في قضية تجسس، وصادروا منه شريط 3 دقايق!!

يا ناس يا عسل.. الكشري وصل!!

هذه هي مشكلة الكتابة الأسبوعية، تريد دائمًا أن تكتب عن كل شيء، وأن يكون مقالك طازجًا، وتاريخ صلاحيته ممتد، ويمكن قراءته في كل وقت، ولا يشعر القارئ بطوله، وكأنه يأكل أكلة شهية، وياسلام لو كانت (كشري)، وهي الأكلة الشعبية الأشهر في مصر، حيث الأرز مع العدس مع المكرونة مع الحُمُص، والصلصة والثوم والخل، وزورونا في مصر تجدوا ما يسركم من الكشري في جميع مناحي الحياة، أو حاولوا أن تتعاملوا مع هذا المقال بوصفه طبق كشري قد تجد فيه معنى من هنا، أو قصة من هناك، أو خبرا من أطراف العالم، أو شخصية تسلط عليها الضوء، أو ربما (توجع) دماغ القارئ بتحليلات سياسية هو أحوج ما يكون للبُعد عنها بمبدأ: ابعد عن السياسة وغنِّ لها، ونحن يا عزيزي نعاني ممن يغنون علينا بدلًا ممن يغنون لنا، وصارت أكثر البرامج رواجًا الآن هي مسابقات الغناء سواء من الموهوبين العرب، أو من كثير من الإعلاميين الذين يغردون على تويتر، ويرقصون في مقالاتهم، ويقبضون باليورو، وهي العملة الأوروبية الموحدة، وكان عمنا الكاتب الساخر الكبير"أحمد رجب" يحلُم بأن يكون لدينا في العالم العربي عملة موحدة، وحين سألوه عن اسمها اقترح أن نأخذ حرف (ج) من الجنيه المصري، و(ر) من الريال السعودي و(د) من الدينار الكويتي، و(ل) من الليرة اللبناني، ليصير اسم العملة العربية الموحدة هو(جردل)!!!

والجردل يا عزيزي القارئ – حفظَ الله مقامك – هو (الدلو) باللغة العربية الفصحى، وهو اسم (البرج) الفلكي الذي وُلِد فيه الملك فاروق آخر ملوك مصر، الذي قامت ضده ثورة 23 يوليو 1952، والذي استيقظنا قبل أيام على خبر سرقة غرفة نومه من حديقة الحيوانات المصرية بالجيزة، وبغضِ النظر عن التساؤلات المنطقية، والمضحكة، التي ستأتي في ذهنك لتسأل عن سبب وجود غرفة نوم ملك في حديقة حيوان، لكن دعني أصدمك بأن هذه الغرفة الأثرية باهظة الثمن سُرِقَت قبل أعوام، وتم اكتشاف ذلك بالصدفة، ووُضِع بدلًا منها غرفة أثاث متواضعة من أحد محلات وسط البلد، وبالطبع لابد أن تسأل: هل طالت السرقة الحيوانات في الحديقة؟؟، لأُجيبك بأن الحديقة تفتقد الزرافة منذ أعوام، والناس تؤكد أن آخر زرافة ماتت، بينما يؤكد آخرون أنه ربما تمت سرقة الزرافة ووضعوا عليها لافتة حمار فصدَّق الناس، وخصوصًا أنهم جاهزون لتصديق أي شيء يقال لهم في الإعلام، ويسمي (هربرت شيلر) وسائل الإعلام والعاملون بها بـ(المتلاعبون بالعقول)، لأنهم قادرون على إقناع كثير من الناس بأي شيء، حتى لو كان كذبًا متبعين نصيحة "جوبلز" وزير الدعاية النازيّ الشهير: كرِّرْ نفس الكذبة، فسوف يتعامل معها الناس بعد قليل بوصفها الحقيقة، وآه من الحقيقة.

تقول الأساطير الإغريقية إن الحقيقة جاءت إلى الناس في صورة امرأة عارية، فأشاحوا بوجوههم، ورفضوها، ولمَّا ذهبتْ وارتدت ملابسها ووضعت المكياج والمساحيق رحَّبوا بها، وقبلوها، وكأن الناس لا تريد الحقيقة المجرَّدة، لأنها صعبة التصديق والقبول، ولا أعرف لماذا لا نصدِّق حقيقة أن العرب اتفقوا على ألا يتفقوا، وأن حُلم الوحدة

العربية (كان صرحًا من خيالٍ فهوى) على رأي الشاعر إبراهيم ناجي في رائعة أم كلثوم الأطلال، لكني يجب أن أصدِّق أن هناك جهودًا في الكويت من بعض المتحمسين لهذا الحُلم كما أخبرني الزميل "حمود بن سند". للمطالبة باتحاد عربي على غرار الاتحاد الأوروبي، وهي المبادرة التي ستجد حتمًا دعمًا لها لو تحمست لها الشعوب، والتي انتقلت من مصاف المفعول به إلى الفاعل، لكن مثل هذه الأحلام الرومانسية تنقلب كوابيس سريعًا، اللهم احفظنا، ولا يطيِّب بخاطرنا غير وحدة عربية من طراز آخر في الأدب والفن والثقافة، ولعلَّ صديقي الأديب المبدع "سعود السنعوسي" فعلَ ذلك بروايته الرائعة "ساق البامبو" التي حصدت جائزة البوكر للرواية قبل عدة أشهر، وكل من يقرأ هذه الرواية البديعة، سيجد نفسه يصفق لموهبة سعود ويقف احترامًا للجُهد الذي بذله في كتابتها ويستمتع بأحداثها وأسلوبها الشجي، وكان سعود قد شرَّفنا في مصر قبل عدة أشهر للاحتفاء به، لكن لا أعرف هل أكل الكشري أم لا، وكل ما أعرفه أنني احترم سعود، وأن مساحة المقال انتهت، مع آخر ملعقة كشري.. بالهنا والشفا.

(هذا المقال مهدى إلى روح الكاتب الكبير أنيس منصور فقد كان من أساتذة الكتابة بهذا الأسلوب)

(غرف) الكلام المتين.. من حكمة السواقين!!!

بعد النكسة لاحظ "د.سيد عويس" انتشار العبارات المكتوبة على المهارات، وفكَّر في تحليلها نظرًا لما تحمله من عبقرية، ووجهة نظر، وفلسفة، وعمق، ليس بغريب على المواطن المصري البسيط، وهكذا خرجت الدراسة العبقرية (هتاف الصامتين) التي صَدَرَت قبل أعوام في مكتبة الأسرة، ولو كان د.عويس حيًّا الآن لكان أعاد دراسته من جديد مع كتابات الحوائط التي أغرقت مصر بما فيها من إبداع، بعيدًا عن السفالة والقبح الذي زاد هذه الأيام، ليكتشف عظمة المصريين وجمالهم وفلسفتهم الشعبية التي تستطيع أن تتعلم منها وأنت تتأملها، كما لابد وأنه كان سيلاحظ تغيرات عديدة طرأت على العبارات المكتوبة على السيارات والتكاتك، تختلف عن عبارات (سنقاتل)، والدعوات للانتقام من العدو الإسرائيلي، كما تنتج لنا أمثالًا شعبية وعبارات فلسفية، أكثر بلاغة من تلك التي يكتبها العديد من المثقفين والنخب والكتاب والنشطاء على فيس بوك وتويتر.

هذه جولة سريعة مع جُمل رصدتها على عدد من سيارات النقل والتكاتك، أدعوك لتتأكلها وتفكِّر فيها جيّدًا.

- الرجولة.. مش بسهولة.
- ماتبصلهاش يا عبيط.. دي جاية بالتقسيط.
- بكره القطة.. تبقى تيوتا.

- البطة المرتاحة للسفر والسياحة.
- ما تبحلقش يا لوح.. دي جاية بطلوع الروح.
- إن نام السبع شوية كلاب ياكلوه.
- زغزغها تضحك!!
- سولار في التانك ولا مليون في البنك.
- آخرة التقدير.. خسرت كتير.
- بطلنا اللي يعطلنا.
- احنا سواقين القطش اللي ما بنغلطش.
- يا بنات.. كفاية اشتغالات.
- ما تجريش ورايا.. أختك مش معايا!!
- آخرة الشقاوة عيش وحلاوة.
- مطلوب آنسة للعمل!!
- صاحب صاحبك على عيبه، وماتصاحبش اللي ف جيبه.
- عبده صغير.. بس يحير.
- يا ناس يا مكبوتة هي دي الحدوتة.
- غِير وما تحسدش.
- تخبطها تحكها.. هحطك تحتها.

١٩٠ سكينة تدبحني.. ولا بنت تجرحني.

١٩١ حتى هدف حياتي طلع تسلل.

١٩٢ ماتبصش يا حمار.. دي عليها تار.

١٩٣ الدلع شياكة.. مش قلة أدب وتناكة.

١٩٤ يا بخت اللي صاحبه راجل.

١٩٥ دلّعها في الغيارات، وريّحها ع المطبات.

١٩٦ لو الأرزاق بالجري ما كانش حد حصلني.

١٩٧ خليك ديب وبلاش تخيب.

١٩٨ يحميكي من الميكانيكي.

١٩٩ الكار ده مش كارنا بس ربنا يصبرنا.

٢٠٠ عشم مات.. المعاملة خد وهات.

٢٠١ عبقري في زمن طري.

٢٠٢ ما تبصش لعجلها لتجيب أجلها.

٢٠٣ عشت عصفورة.. دبحوني.

٢٠٤ الحلوة خوخة.. جت بعد دوخة.

٢٠٥ ما تقولش دي بكام دي جاية بدهب المدام.

٢٠٦ تركب اسليك.. تنزل اولع فيك.

- حلوة ومتلمعة وع السكة متشخلعة.
- عضة أسد ولا نظرة حسد.
- اللي يخاف م العفريت.. يعمل عبيط.
- من حق التقيل يتدلع.
- لو كان الجري بالرتب كان زماني لوا.
- خليك هادي.. ما بعرفش ادادي.
- هسيبك كده ورايا.. انت مش من مستوايا.
- عايز تعيش.. ماتعدنيش.
- لو باض الديك برضه مش هعديك.
- حبيتها وقعدنا نلوك لوك.. أتاريها طمعانة في التوك توك.
- صاحبك اللي خانك زي دخانك.. بفلوسك تشتريه وبرجلك تطفيه.

خلاصة القول في دخول المول

لا ادخل المول والهايبر ماركت إلا خائفًا أو مضطرًا أو للتصوير بجانب ملات البراندات وأي (فسقية) في الجوار.

لسمع موسيقى تنبعث من مكان لا تعرفه، وسيلقيك حظك إلى أن اهد عازف بيانو بائسًا لا يعيره أحد أدنى اهتمام.. أرجوك اكتفِ سامة في وجهه، وربما تصفيق بعد أن ينتهي، وإياك أن تلقي له الفلوس الفضة لأن هذا وحده كفيل بتحويله إلى قاتل متسلسل يبدأ بك صيًا.

إياك أن تترك زوجتك طليقة اليدين وأنت في المول.. وإياك أن تنادي اسمها في الإذاعة الداخلية لو تاهت منك، بل افعل مثل أبوتريكة بعد إحراز الهدف واسجد سجدة شكر.

بالنسبة للعيال يفضَّل تكتيفهم من الخلف وربما تعصيب أعينهم، وحبها تقبَّل أي شيء من أي شخص سيمد يده إليك بيد العون مكرمشة على اللي فيه نصيب.

ستقابل نماذج غريبة دخلت المول – فقط - لتقف أمامك دون أن تتحرك.. تعامل معها مثلما تتعامل مع الأعمدة الأسمنتية في الشارع - بالتأكيد لا أقصد أن تتبول بجانبها! -

معظم الذين لا يمتلكون سيارات في الحقيقة ستجدهم يحاولون إثبات مهاراتهم في قيادة (عربية) المول، والتعامل بأخلاق السائقين بوضع بوز

عربيته التي ربما يحمل فها فقط علبة عصير أمام بوز عربيتك فقط ليتخطاك.. هؤلاء تعامل معهم مثلما تتعامل مع سائقي الشارع واستخدم فمك بدلًا من الكلاكس وأنت تردد في خشوع: تاتا تاتاااااااتا.. تاتا تاتاااااااتا.

-معظم العروض القوية تكون على منتجات قارب تاريخ صلاحيتها على الانتهاء، ومعظم من يشترونها يعرفون ذلك لكنهم يزيلون تاريخ الصلاحية لا لينسوا أو يفقدوا الذاكرة، وإنما ليقوموا بإعادة إهدائها إلى الأقارب والأحباب "النُّص كُم".

-بالنسبة لهؤلاء الذين ستكتشف أنهم دخلوا الهايبر فقط ليتذوقوا الأكل الطرشي والجبن واللانشون والحلويات والآيس كريم، ويضعوا برفانات، وكأنهم يجربون كل ذلك ليكتشفوا بعد أن يشبعوا ويستكفوا أنه وحش ومش قد كده.. هل تعرفهم؟؟ ما تمثلش.. قف في دورك ولا تعبث معهم أبدًا أو تحاول تخطيهم، ولتكتفِ بالقليل حتى تترك فرصة لغيرك.

-ستكتشف هواية جديدة يمكن ضمها إلى هواية جمع الطوابع والعملات، وهي هواية جمع الشنط البلاستيك التي- غالبًا - يتميَّز بها الشعب المصري دون الشعوب، وسترى هؤلاء الذين اشتروا ما يوضع في شنطة بلاستيك، يأخذون معها ما لا يقل عن عشر شنط، وكأن الشنط البلاستيك لقيطة، وكأنهم سيقومون بتربيتها.

-البنت التي تعمل في العارضين، وتكوي شعرها بعناية، وترتدي بنطالًا ضيقًا و«بودي» مفتوحًا، وتدعوك للمشاركة في العرض وهي تبتسم "فاشخة ضبها".. هي لا تحبك يا نيلة انت.. انت بالنسبة لها زبون، ولذلك

ينبغي ممارسة ثباتك الانفعالي لأقصى درجة، لأنك لو تورطت في علاقات عاطفية ستكتشف ما اكتشفه محمد هنيدى نفسه: "البت دي من شبرا وأخوها عليه حكم".

-ستجد أحيانًا داخل المول باعة فيشار أو غزل البنات أو عصير قصب أو زلابيا.. لا تتعامل معهم إلا في حالات الطوارئ وأمسك عليك لسانك وأنفك والعديد من أعضاء جسدك، ولا تحاول أن تخلع ملابسك وتمشي ملط وأنت تسمع الأسعار.. أيوة.. آه وربنا.. كوباية عصير القصب بعشرة جنيه ما تفضحناش.. وما تجيبش أحسن.. إنت إيه اللي جابك هنا أساسًا.

-أخيرًا.. إذا دخلت الحمام، فحاول أن تتعامل مع المبولة بتحضر، وحاولي أن تتعاملي مع المناديل بإنسانية.. وإنت فاهم وإنتي فاهمة.

ليك في ميكي وسمير؟!

هل جربت أن تنزل لتشتري لأبنائك مجلة أطفال؟؟!!

دعني أصدمك وأقل لك إن مصر الآن ليس فيها مجلة أطفال مصرية خالصة بهوية مصرية حقيقية، اللهم إلا مجلة محدودة الإمكانات مثل «قطر الندى» التي تصدر عن هيئة قصور الثقافة بصورة شبه دورية، ولا يعرفها أحد تقريبًا، وأطلال مجلة كمجلة «سمير» العظيمة التي اندثرت على أيدي إدارتها السيئة في السنوات العشر الأخيرة، وتكاد تكون لا تصدر بعد أن كانت توزّع في الستينات أكثر من مائتي ألف نسخة، ليصبح توزيعها الفعلي الآن أقل من ألف نسخة شهريًا!!

مجلة سمير التي ربّت أجيالًا، وكان يكتب فيها عظماء الأدب والفكر والثقافة، والتي احتلت صورة مكانة عظيمة في قلوبنا وكان أهلنا يقولون لنا إن أردت أن تتسلى، فعليك بـ«ميكى»، بينما إن أردت أن تتثقف وتتعلّم وتصبح إنسانًا، فعليك بمجلة «سمير» برسومها المصرية الخالصة، وأبوابها التي تتحدث في كل شيء، وتبني جيلًا محترمًا واعيًا، وتخصص إحدى مؤسسيها ماما لبنى- رحمها الله - بابًا لصحفي ناشئ يُعلِّم الأطفال مبادئ الصحافة المحترمة وينشر أعمالهم بصورهم على صفحات مجلة، لتصير ذكرى هي الأجمل عند هؤلاء الذين تعلّموا الكثير في دار الهلال، مجلة سمير، مجلة سمير خلاص.. بح.. مفيش.. انساها.

حضرتك ستحدثني عن «ميكى» التي ما زلت أنت مولعًا بها رغم أن طعمها اختلف باختلاف المترجمين، لكني أحدثك عن مجلات الأطفال المصرية

الخالصة، وربما تقاوح سعادتك لتحدثني عن «علاء الدين» لأفاجئك وأقول لك إن سياستها تغيَّرت وأصبحت تصدر «شهريًا» بدلًا من «أسبوعيًا»، ولم تعد للأطفال وإنما للمراهقين، ليذهب تاريخك مع هذه المجلة الممتعة بكتاباتها المحترمة لعمالقة من جيل مختلف أدراج الرياح.

لن تجد مجلة أطفال مصرية خالصة، لكن ربما ستتذكر جهود عمر طاهر في باب وجبة الفرحة، والذي توقف عن كتابته، وكفاح سماح أبوبكر عزت للاستمرار في تقديم باب أسبوعي للأطفال في «الوطن»، وربما ستكتشف أن مجلات الأطفال الوحيدة التي ما زالت تصدر باستمرار هي مجلتنا «ماجد» الإماراتية والتي يحرِّر معظمها ويرسمها مصريون و«العربي الصغير» الكويتية والتي يشارك في تحريرها وكتابتها ورسمها - بعد أن شاركوا في تأسيسها - مصريون.

دعني أصدمك أكثر وأكثر وأكثر، لأقول لك إن أغلى أسعار كتب هي أسعار كتب الأطفال، وإن أغلب دور النشر المصرية الكبيرة التي أصدرت كتبًا ممولة من المعونة الأمريكية، أصدرتها مترجمة ومعرَّبة عن قصص عالمية وكتابات أجنبية بدلًا من أن تكتشف جيلًا جديدًا من الكُتَّاب، وحتى كتبهم العربية المصرية صارت حكرًا لأسماء بعينها، أغلبهم تعدوا الستين والسبعين عامًا ولا يزالون يكتبون للأطفال.

لن تجد حتى برامج أطفال مهمة أو محترمة أو حتى من الطراز التقليدي القديم على شاشات التليفزيون المصري، والوحيدة المستمرة في الإذاعة هي أبلة فضيلة، وحتى عيد الطفولة وأوبريتات وأغاني الأطفال ذهبت إلى غير رجعة، وحتى مشروع القراءة للجميع الذي كان يمثِّل أساسًا قويًا في

ثقافة كثيرين من الجيل الذي أنتمي إليه بإصداراته الرائعة، لم يعد بالقوة ولا بالزخم ولا بالاهتمام الذي كان يولَى إليه.

والآن يسعدني أن أختم المقال بصدمة كبيرة مهما حاولت الهروب منها وعدم الاعتراف بها ستكتشف أنها الحقيقة.

مشروعات الأطفال في هذا البلد لم تشهد اهتمامًا حقيقيًا إلا بقرارات فوقية وسيادية، وكان آخر من اهتم بها سيدة قد تكرهها أو تكره سماع اسمها، وقد تربطها بالسياسة وفق كثير مما سمعته وقرأته دون التيقن من صحته، لكن الحقيقة هي أن السيدة الوحيدة التي رعت مشروع الطفل في مصر خلال الثلاثين عامًا الأخيرة اسمها «سوزان ثابت»، الشهيرة بـ «سوزان مبارك».

ألف رحمة ونور على الطفل في بلدنا، والذي شال الهم بدري وصار أكبر مِنا جميعًا، ونسيه الجميع في زحمة الخناقة الكبيرة التي -غالبًا- لن تنتهي.

البحث عن ستّ الحُسن

شيء ما تغيَّر فينا، وفي مصر..

شيء ما يجعلنا لا نفرح زي زمان.. نضحك زي زمان.. نحلم زي زمان.

همّ ثقيل نزل على قلوبنا، اغتال براءة الكثيرين، كبَّر أطفالنا معه حتى صاروا في مثل عمرنا تقريبًا، بينما تعبت الروح لدرجة الانهيار، ولم تجد معها –حتى الآن– أي طبطبة.

أنزل إلى وسط البلد.. يا الله، لم تكن كذلك..

لم تكن بكل هذا القبح، دهست أقدام الباعة الجائلين ذكرياتنا الجميلة، وبصق الزمن على ضحكاتنا التي كانت تملأ أرجاءها، وحتى طعم الآيس كريم من محل العبد لم يعد بنفس الطعم..

أو أنها أجواء اعتدنا عليها وألفناها، فتغيَّر الطعم لما رحلت عنَّا.

شارع طلعت حرب مُحتَل بالكامل، بلطجية ومسجلين خطر يسيطرون على الشارع، وأمناء شرطة يعودون لأخذ الاصطباحة، ومرور مهلهل، وتحرُّشات بالجملة، ومحطات مترو أصبحت كالخرابات نتنة الرائحة والحوائط، مظلمة، معتمة، تصيبك بطاقة سلبية لم تعتد عليها.

حتى رمسيس، بائع الكبدة والسجق الذي كنت تشتري منه السندوتشات الرخيصة، ومحل عصير القصب الشهير، والفوتومونتاج الذي يجري أمام

عينيك للترام الذي كان يعبر من هناك في طريقه للتحرير الذي لا أعرف من فيه، ولا أشعر أنه سهعود كما كان أبدًا.

أحاول البحث عن مصر في وجوه الناس، أو أحاديث البشر، أو حوارات السائقين، فلا أسمع سوى الصخب والتطرف، ولا أحد يدلني على بلدي التي أجببتها، ولا على البهجة التي انتحرت، ولا على تفاصيلنا الصغيرة الجميلة الرائعة التي سرقها الجميع وباعوها في سوق النخاسة.

أهرب من مقالات السياسة، ومن الاتهامات والمزايدات، وأشاهد الكارتون مع أولادي، وأتابع مباريات الكرة العالمية، دون فائدة.

عطِبَت الروح، ولازلت أبحث عن سِت الحُسن..

أكاد أبكي، لكن طبطبة «بهاء جاهين» في قصيدته الرائعة (سِت الحُسن) التي يبحث عنها هو الآخر من زمن تؤجل بكائي إلى حين، وتجعلني أكتفي بوجع القلب.

يقول عم بهاء المظلوم والمهضوم حقه، والباحث معنا عن سِت الحُسن:

قابلني يوم
ف أول المنيل
في خمسة سبتمبر سنة تلاتين

قابلني تحت الرَّبع ف القلعة
ف جامع السلطان حسن شمعة
وف الرفاعي مقام وناس مساكين

أنا مش ح اقول لك حددي لي معاد
قابليني صدفة واحنا متخاصمين
ف السيدة زينب في حارة جاد
أو ستة شارع ساقية الطواحين

قابليني ف البرج اللي تحت البير
قابليني ف الأحلام وف الطوابير
ف اسكندرية وشندويل وشبين
قابليني ف محطة فراق القطر
قابليني ف مصحة لقا المجانين
عارفك أنا.. مش بالشَبَه بالعطر
مسك الحسين وروايح البساتين
ملح البيوت اللي أكلها البحر
ريحة سحالي الأرض والجعارين

قابليني عند وزارة الصحة
و اشفيني من ريحة الدوا
قابليني ف نَفَس الهوا
و اشفيني م الكحة

قابليني عند تقاطع الألفي وعماد الدين
شَحَّاتة ف إشارة المرور
بتبيعي مناديل الورق وياسين
قابليني ف الشبّورة ف دولاب الهدوم

وأنا بَبكي ف الملايات وف الفساتين
أنا من زمان وأنا بَفتح الجرانين
و بَتوه من العناوين
أنا من زمان وأنا بفتح المَنْدَل
ما بشوفش غير مَنْزَل
أنا من زمان وأنا بفتح الكوتشينة واقرا تنوة الفناجين
ما بشوفش غير شارع لا بيوَصَّل
و لا بقابلك فيه

قابليني بين الخُرس والمعاتيه
قابليني ف الخيشة اللي ف الجردل
قابليني ف الحزن اللي عارفك بيه
أنا يا صبية مانيش بتاع أفراح
و لا قصر م الحواديت وبهو سفيه
أنا من هنا.. من شارع السَيَّالة
فواعلي طوب واقع من السقَّالة
بَترجَّى فيكي وانتي مش سامعة
قابليني يوم جمعة
بعد الصلاة، وخديني ع النقالة
وارميني وسط الشحاتين العُمي
يمكن أشوف وشك عجيب الضي
اللي لا شافه إنس ولا عفريت
يا وش ست الحسن ف الحواديت

كان ذلك في أكتوبر 1992

عدت من المدرسة، جلست لحل واجب (الجبر)، وبعد قليل بدأ البيت في الاهتزاز بقوة، مع أصوات صراخ والناس تجري وتهرول نزولًا وهروبًا من (البلوك) الذي أقيم فيه في هذه المساكن الشعبية.

بعد قليل استقرّت الأمور، وعرفنا أنه زلزال بدرجة 6 ريختر، وبدأت التصدعات تصيب البيوت، وسمعنا عن العديد من المنازل التي هُدِمَت ووقعت على من فيها، ومنها حسبما أتذكر عمارة في مصر الجديدة اكتشفوا فيها (أكثم) الرجل الذي ظَلّ حيًّا تحت الأنقاض لأيام، ووسط كل ذلك بدأت العديد من التغيُّرات تطرأ على المنطقة.

تمّ فتح مركز الشباب القريب للناس التي فقدت بيوتها ليسكنوا في خيام نصبت في قلب الملعب الذي طالما كنا ننظفه ونلعب فيه، ونقوم بمعاونة (عم احمد الفرماوي) على رشه.

وتحت منزلنا حدث الهجوم.

هجوم يشبه الاحتلال، لجماعات لا نعرفها، ولا نعرف من أين جاءت، راحت تنصب العشش الخشبية، وتأخذ الكهرباء من (العمومي)، وتبني دورات مياه مشتركة، ولا وجود للشرطة، أو اعتراضات من السكان الذين آثروا السلامة على اعتبار أن هؤلاء حدثت لهم كارثة ويجب معاونتهم،

حتى وإن لم يعجبنا ذلك، حتى وإن قبلناه على مضض، حتى وإن رفضناه من داخلنا، لأن ذلك لن يطول عن أسبوعين أو ثلاثة بحد أقصى.

لكن الأمر لم يكن كذلك بالمرّة.

فرضَ السكان الجُدد قوانينهم على المنطقة. كانوا يعاكسون بنات المنطقة فتحدث خناقات عديدة، واشتباكات يمكن (لمّها) بعد قليل، لكن ما لم يمكن (لمّه) هو سلوكهم وأخلاقهم وشتائمهم البذيئة، وتصرفاتهم الغريبة، وأصواتهم العالية، وهزارهم السمج، وروائح ما يطهونه من طعام غريب، والسرقات التي بدأت تزيد في المنطقة، وكل ذلك كان يمكن تحمُّله طالما كانت فترة وجودهم قصيرة، لكن ما حدث أن الأسبوعين أصبحا شهرًا، ثم ستة أشهر، ثم عامًا كاملًا، ثم قبل البعض وجودهم وكأنه حقيقة لابد من التعامل معها، واعتبروهم جيرانا يصعب فراقهم، وليسوا عشرة يوم أو اثنين، بل عام كامل.

أما المعترضون فقد بدؤوا يرسلون بالشكاوى للحي والشرطة والصحف ومبنى الإذاعة والتليفزيون، وتحديدًا برنامج ريبورتاج على القناة الثالثة.

وبالطبع لم يحدث أي شيء، باستثناء تفصيلة صغيرة، لكنها جوهرية.. هجوم من بلطجية على المنطقة لأسباب لم نكن نعرفها، لكن السكان الجدد تصدوا لهم ببسالة، وهكذا أصبحوا أبطالًا!!

توارى المعترضون على وجودهم خجلًا، لكنهم ازدادوا حنقًا عليهم، بينما صارت المنطقة تتعامل معهم بوصفهم (حماة) المنطقة، وتجاوزوا عن سلوكهم الذي تطور ليصل لمرحلة تجارة الحشيش!!!

ويومًا بعد يوم أصبح السكان الجُدد أقوى سلطة في المنطقة من سكانها الأصليين، لدرجة أن الشرطة والحي حين قرروا أن يعيدوهم إلى بيوتهم الأصلية، تمسَّك بهم عدد من السكان القدامى، ودافعوا عنهم، ودعوهم للبقاء رغم كل شيء، واعدين إياهم بالوقوف إلى جوارهم، وهو ما جعل السكان الجدد يرفضون مغادرة العشش، ويقاومون قوات الشرطة (البسيطة) التي جاءت لدرجة أنهم حين نجحوا في إبعاد الشرطة أقاموا احتفالًا كبيرًا، ظلوا يرقصون فيه حتى الصباح احتفالًا بهزيمة الشرطة!! لكن بعد أكثر من مهلة وإنذار بدأ صبر الداخلية ينفد، وكان وزيرها آنذاك اللواء محمد حسن الألفي، وهكذا قرروا أنه لا مزيد من الطبطبة والكلام الودي، وهكذا وصلت قوات شرطة قامت بإزالة العشش، وسط صراخ وشتائم ودعوات على الجميع، وتساؤلات غريبة من عينة (اشمعنى العشش بتاعتنا، وسايبين عشش تانية)، والغريب أن البعض وقف معهم ونزل ليأخذ الضرب معهم، ويشاطرهم الصراخ والعويل، والأغرب أن الجميع كانوا يعرفون أنهم سيأخذونهم ليعيدوهم لبيوتهم، أو يعوضوهم ببيوت أخرى، لكنهم يفضلون هذه العِشة تحديدًا، لدرجة أن بعضهم أصبح يؤجرها أحيانًا ويذهب للبيات عند أقاربه!!

لمما بعد هدأ الأمر، بدأت عمليات الرصف وإزالة المخلفات، عادت المنطقة لوجهها الحقيقي القديم، لكن الأحاديث لم تنتهِ عن السكان الذين رحلوا، وظَلّ البعض يتواصل معهم واعدًا إياهم بإمكانية العودة، وحين جاء بعضهم زائرين هذه المرّة قالوا إنهم يعتذرون عمّا كان قد بدرَ منهم، وإنهم يريدون العودة لبناء عشش للعيال التي كبرت وأصبحت على وش جواز، لكن شيئًا لم يحدث، باستثناء أنَّ رجلًا جاء ليسترزق من

ركْن بعض السيارات أسفل المنزل، قبل أن يتحوَّل الموضوع مع مرور الوقت، واستعطافات الناس من أجله إلى جراج يحكمه الرجل الذي صار أشهر بلطجية المنطقة، بالاتفاق مع الشرطة!!

كيف تصبح زوجتك أجمل
من أنجلينا جولي؟؟

هناك شخص عديم الشعور والمشاعر، لا أستطيع وصفه بلفظ مؤدب، قال لي تعليقًا على عنوان المقال: وهل أنجلينا جولي جميلة أصلًا؟؟ حسناً.. أسمع ردودكم عليه الآن، وتكفيه حتمًا لعناتكم، ودعوني أؤكد له أنه لو لم يرها كذلك، فليعتبرني أتحدث عن مونيكا بيلوتشي، أو بينلوبي كروز، أو كاميرون دياز، أو حتى هيفاء وهبي وليسامحني الله على وضع هذه الأخيرة مع سالفي الذِكر، وما أنجلينا جولي هنا سوى رمز للزوجة الصالحة المثالية التي ينبغي أن تفكر: كيف تصبح زوجتك أجمل منها ؟؟

دعنا نعترف مبدئيًا أنك تتحدث عن فرضية جدلية، أو خيال علمي، أو رابع المستحيلات، لأسباب أنت تعلمها جيّدًا، ولست في حل من ذكرها في المقال حتى لا أخسرك كقارئ، وأخسر زوجتك كقارئة، وأخسر حياتي بسبب زوجتي التي يجب أن يوضع هذا المقال، مع سكاكين المطبخ، بعيدًا عن متناول يدها، لكني أسألك فعلًا: ما هي مواصفات الزوجة المثالية بالنسبة لك، وأرجوك لا تتسرّع وتختصر الأمر في الجمال (الشكلي) فقط، كما أدعوك، وأقبِّل يدك ألا تختصره في جمال الروح فقط، فغالبًا نحن جميعًا متزوجون من ملكات جمال الأرواح، لكن يمكنك أن تذكر جيّدًا ما يضايقك في زوجتك، لتضع تصوُّرات (عقلانية) و (واقعية) و (عملية) لإصلاحه، وليصبح الآن سؤالنا: ما الذي تريد أن تفعله زوجتك أو تقلع عنه حتى تعتبرها زوجة مثالية أجمل بكثير من أنجلينا جولي ورفيقاتها؟؟

كان هذا السؤال مطروحًا على المقهى، نظرت لأصدقائي فقلت: أنا أرى زوجتي مثالية بالفعل.

صفَّق كثيرون على طريقة (يا بختك) وراحوا يغبطونني ويحسدونني وهم لا يدركون أنني أتمتم بالاستغفار في سِرّي على هذه الكذبة.

أنا أريد من زوجتي أن تتكلم أقل وتنصت أكثر. يقولون أن الله خلق الإنسان بفمٍ واحد وأذنين ليفعل ذلك، كما يقولون أن الرجل اخترع التقبيل ليوقف المرأة عن الكلام!!

أريد من زوجتي أن تدرك أنني شخص خارق، فالمرأة العربية تحتاج لأن تتزوج (الرجل الشامبو)، أي ثلاثة رجال في رجل، رجل يدفع لها مصاريفها، ورجل تحبه ويحبها، ورجل تتشاجر معه في أوقات فراغها، والواقع أنني أقوم بهذه المهمة دون (حافز إضافي)!!

أريدها ألا تكون (غيورة)، وأن تترك لي الريموت كنترول، وألا تغيب في (المول)، كما أريدها طبعًا رشيقة القوام تجمع في جمالها بين أنجلينا جولي وميجن فوكس ومونيكا بيلوتشي، تحب أمي ولا تعتبرها عدوها الأول، لا تشغلني بمشاكل الأبناء وتحلّها بنفسها، تقوم بأعباء المنزل دون شكوى لأن كل النساء كذلك (وأولهن أمي).

أريد من زوجتي أن تدللني (كل أبنائي لديهم أسماء تدليل وأنا لا!!)، وأن تتركني ألعب الـ "play station" دون شكوى، وألا تتصل بي بين الحين والآخر لكي تسألني: أين أنت؟ (هل سأتوه يا عالم؟؟)، أو: إلى أين تذهب؟ (تتقمص وقتها دور المفتش كولومبو)، وأن تطيعني في كل شيء (بالطبع

ا،، اطلب منها أن ترمي نفسها في البحر، وإن كان الأمر مغريًا في كثير من الأحيان)

..رحت بذهني في كل ما أريده، وعدت لمنزلي فكانت في انتظاري. كانت تشاهد فيلمًا لبراد بيت، ولا أعرف لماذا نظرت لي نظرة جعلتني أسرع المرآة لأكتشف (كرشي) الأليف وأسناني المعوّجة، وأصرخ فيها سائلًا إياها: ما معنى نظرتها لي؟، وأختطف منها الريموت، وأجلس في الصالة بملابسي الداخلية وأنا أتأفف بعد أن قالت لي إن أمها ستأتي لزيارتنا غدًا.

ثم نظرت نظرة أخرى لبراد بيت، ونظرة لعين زوجتي المنكسرة التي ناديتها ثم سألتها: هل تعتبرينني أجمل من براد بيت؟؟

حكمة آخر المقال: كُنْ لها براد بيت، تكن لك أنجلينا جولي!!

شعب ابن نكتة بالمناسبة!!

يقولون عن المصريين أنهم: شعب ابن نكتة، يسخرون من الجميع، ولو لم يجدوا من يسخرون منه لسخروا من أنفسهم.

صحيح أن الضحك أصبح عزيزًا في مصر، لكننا لا زلنا نسخر، ونتعامل بمبدأ: شرّ البلية ما يضحك.

وبمناسبة الضحك، نحن الذين ضحكنا من حُكّامنا الظالمين، والفاسدين، وغير المستحقين لمكانهم ومكانتهم منذ فجر التاريخ، حتى أن بدايات فن الكاريكاتور في العالم كانت عند الفراعنة الذين رسموا على جدران الكهوف والمعابد مواقفهم السياسية، وسخريتهم من الحاكم الذي لا يستحق شعبه، والمسؤول الذي تولى منصبًا سيسرق فيه أو يقتل، والمحتل التافه الذي تجرأ على أسياده فحاربهم، والغبي الذي يظن نفسه ذكيًا، فتجدهم يرسمون ثعلبًا يقود قطيعًا من الماعز، وفئرانًا تهاجم القطط، وحمارًا يلعب الشطرنج!!!

حتى مثقفي هذا الشعب وفنانيه كانوا أولاد نكتة وحاضري البديهة في الكثير من مواقفهم التي تروى عنهم، وفي مداعبة ثقيلة بين شاعر النيل حافظ إبراهيم وأمير الشعراء أحمد شوقي، يقول حافظ إبراهيم: يقولون أن الشوق نار ولوعة.. فما بال (شوقي) اليوم أصبح باردًا، فيردّ عليه أحمد شوقي: أودعت إنسانًا وكلبًا وديعة.. فضيّعها الإنسان، والكلب (حافظ!!)

وبمناسبة حافظ، يُروَى أن حافظ إبراهيم نفسه أراد أن يسخر من الكاتب الساخر الشيخ عبد العزيز البِشري فقال له: تصوَّر شفتك من بعيد افتكرتك واحدة ست ..هاهاهاااا، فردَّ البِشري: غريبة.. أنا شفتك من بعيد افتكرتك راجل.. ها ها هااااا.

وبمناسبة البِشري، يقال أن أحدهم كان يمتلك سيارة قديمة، فعرض على الشيخ عبد العزيز البِشري أن يوصله فردَّ البِشري: لا معلهش أصلي مستعجل شوية!!

وكان عبد العزيز البِشري شيخًا معممًا، وكاتب مقال لا يشق له غبار، وفي إحدى المرَّات ركبَ الترام فجلس بجواره شخصٌ بسيط، طلب منه أن يقرأ له عنوانًا، وكان العنوان مكتوبًا بخط غاية في السوء لدرجة أن البشري لم يستطع قراءته، فنهره الرجل قائلًا: أومال هذه العِمَّة التي ترديها إيه؟؟، فخلع البِشري العمامة، ووضعها على رأس الرجل وهو يقول: أدي العِمَّة.. اتفضل اقرا بقى!!

وبمناسبة القراءة، يمكنك أن تقرأ كتاب أنيس منصور "في صالون العقاد كانت لنا أيام"، لترى كيف غضب من أستاذه عباس محمود العقاد حين كتب عنه هازئًا: هذا الأنيس منصور، وحين عاتبه ردَّ العقاد بأنها غلطة مطبعية من أولاد كذا وكذا عُمَّال المطبعة، وفي العدد التالي من المجلة التي يكتب بها أنيس منصور كتب هذا الأخير عن عباس محمود (العضاض)، فغضب العقاد وعاتب أنيس الذي ردَّ بأن السبب أولاد كذا وكذا عُمَّال المطبعة.

وبمناسبة المطبعة، هناك طبعات كثيرة من كتاب يوسف الشريف عن

الشاعر الراحل كامل الشناوي الذي كتب قصيدته المشهورة "لا تكذبي" ليبكّي الكثيرين، ويتحدَّث الكتاب عن كامل الشناوي بوصفه أحد أهم ظُرفاء العصر، وهو ما أكّده من قبله مصطفى أمين أحد أساطير وآباء الصحافة المصرية، وكان كامل الشناوي يجلس مع الرئيس جمال عبد الناصر فقال له: على فكرة احنا بلديات يا ريس، فاندهش عبد الناصر وسأله: ازاي؟ أنا من الصعيد وانت من خارج الصعيد، فردَّ الشناوي: بس احنا الاتنين عندنا السُكّر!! ويُروَى أنه ضرب المثل بإحدى المذيعات في الأدب فقال أنها كانت مؤدبة لدرجة أنها تطرق باب الدرج قبل أن تفتحه.

وبمناسبة الشعراء، كتبَ نزار قبّاني قصيدته الشهيرة أيظن، التي لحَّنها موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، وغنَّتها نجاة الصغيرة ويقول فيها على لسان بطلة القصيدة: حتى فساتيني التي أهملتها.. فرحت به.. رقصت على قدميه، وكانت صدمة كبيرة لعبد الوهاب حين طلب منه أحد المنتجين أن يغني القصيدة بنفسه مع تغيير الكلمات لتُصبح: حتى بناطيلي التي أهملتها بدلًا من فساتيني، ولابد أن عبد الوهاب شعرَ بخطأ حديثه مع هذا المنتج المستفز. وبمناسبة الخطأ، كانت الأخطاء المطبعية في الصحافة المصرية مضحكة أحيانًا وكارثية في أحيانٍ أخرى، ويُروى عن أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام أنه أشَّر بالموافقة على نشر نعي جاء متأخرًا فكتبَ: يُنشَر إن كان له مكان، فكانت المصيبة أن نشر النعي هكذا "فلان الفلاني أسكنه الله فسيح جناته إن كان له مكان". لكن ذلك لا يُقّارن بإحدى الوزيرات التي كانت تزور إحدى المحافظات، وبدلًا من أن يكون عنوان الخبر: حكمت أبو زيد تتجوّل في كفر الشيخ، نُشِر الخبر بعنوان: حكمت أبو زيد تتبوّل في كفر الشيخ!!

لماذا ساعدَتْ (دورا) الثعلب (سُنقر)؟؟؟

أما «دورا»، فهي الفتاة الصغيرة بطلة حلقات الكارتون العالمية الشهيرة التي تحمل اسمها، ويشاهدها الأطفال في العالم، ولو سألت ابنك أو ابنتك سيحكيان لك عنه بوصفه معلوم من الكارتون بالضرورة، لاسيما وأنه مدبلج للعربية ويذاع على قناة mbc3، وأما الثعلب سنقر، فهو ذلك الثعلب المكّار الذي يحاول أن يسرق من دورا وصديقها القرد «موزو» دائمًا ما يحتاجانه في نجاح مهمتهما التي يتعلّمان فيها مع الأطفال الكثير، وبالتالي هو يمثِّل (محور الشر) في الحلقات، وكعادة الشر دمه خفيف جدًّا، وكعادة الخير، في مسلسلات الكارتون فقط، فإنه ينتصر في النهاية، وما إن يظهر الثعلب «سُنقر» في الحلقات حتى تطلب دورا مساعدة أصدقائها من المشاهدين وهي تسألهم: هل رأيتم الثعلب سنقر؟؟ وبالطبع تجد أبناءك يشيرون للثعلب الذي يختبئ في مكان ما على الشاشة، وما إن تراه دورا حتى تطلب من أصدقائها أن يقولوا له: سُنقر لا تسرق.. سنقر لا تسرق.. سنقر لاااااا تسرق!!!

وعلى الفور يتوقَّف الثعلب، ويهرب وهو يردد: زوغاااااااااان.

الحلقات تنتمي لاتجاه عالمي اسمه التعليم الترفيهي، أو الـedutainment، حيث يعتمد على غرس قيم وتعليم الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة مبادئ الحياة، وتمييز الأشياء، والاتجاهات، والتفكير المنطقي، وهو الاتجاه الذي بدأه من قبلها البرنامج الشهير "شارع سمسم" ذائع الصيت في العالم أجمع، لكن ليس هذا هو المهم الآن.

في حلقة عُرِضَت منذ فترة، وقعَ الثعلب سنقر ضحية ساحر، وتمَّ حبسه في زجاجة صغيرة من يفتحها لإنقاذه يدخل بدلًا منه فيها، ولأن دورا طيبة وتمثِّل الخير، فقد أرادت مساعدة سنقر، لكن سنقر يقدم على فعل غريب، فيحذِّر دورا من مساعدته حتى لا تُحبَس بدلًا منه، وعلى الفور تقرِّر دورا خوض مغامرة أفرَد لها المسلسل حلقتين كاملتين لتخرج سنقر من الزجاجة، وتبطل عمل الساحر، بمساعدة أصدقائها القرد (موزو)، والخريطة، ومشاهديها من الأطفال في المنازل الذين يرشدونها للطريق ويتفاعلون معها فيما تطلبه منهم

حسنًا.. عندي مشكلة، يمكن تلخيصها في السؤال: لماذا ساعدت دورا الثعلب سنقر؟؟؟

دعك من العبارات المحفوظة والمبادئ التي تُغرَس في الأطفال بمساعدة الجميع حتى لو كانوا أعداءنا، فالواقع أن هناك مشكلة درامية في كل حلقات الكارتون الأجنبية التي تتناول فكرة المساعدة والمسامحة والمصالحة، والتعاون بين الخير والشر، وهي أن الخير يظَلُّ خيرًا، والشر يظَلُّ شرًا، بمعنى أن توم حين يتعاون مع جيري في إحدى الحلقات لطرد خطر وعدو مشترك يتمثَّل في كلب مثلًا، أو في (قِط آلي) يعمل بالروبوت، فإن الأمر لا يتعدى كونه حلقة استثنائية، تعود العداوة بين توم وجيري في الحلقة التالية مباشرة، وبشكل ربما أكثر شراسة، وهو نفس ما حدث في حالة «دورا» والثعلب «سنقر»، فقد ساعدته دورا، لكنه في الحلقة التالية عاد لدوره كلِص يسرق منها كل ما يمكن أن يفيدها في مهمتها، وبقي ممثلًا للشر، ومصدر قلق ومضايقة لدورا.. والجديد، للأطفال

الناس يشاهدون الحلقات، والذين يرددون نفس السؤال: لماذا ساعدت دورا الثعلب سنقر؟؟

الكارتون يشبه الحياة بشكل كبير، ولو جرّبت أن تشاهد الشخصيات السياسية التي تراها على الساحة بعيون طفل، ستعرف من منهم دورا ومن منهم سنقر، لكن يبقى السؤال: لماذا ساعدت دورا الثعلب سنقر، ولماذا تساعده مرّة ثانية وثالثة ورابعة، ويتكرر منها نفس حُسن النية الذي يصفه البعض بالغباء، وتتكرر منه نفس الخيانة والنذالة التي يعلم الجميع أنه جبل عليها، فيما يسميه البعض تأدبًا (مكر الثعالب)، لكن الأكيد.. والغريب في الوقت ذاته، أن دورا لا تزال تساعد سنقر..

وسنقر لا يزال يخدع دورا..

والجميع يشاهد نفس المسلسل بلا ملل.

كما أن المسلسل لا يستطيع أبدًا أبدًا الاستغناء عن الثعلب سنقر، مهما كرهه المشاهدون، لأنه يحتاجه، وبشدة، في حلقات جديدة..

ومواسم قادمة.

أول يوم مدرسة

ظبطك للمنبه، محاولات إيقاظ أبنائك، ومن قبلهم جهادك في إيقاظ نفسك وأنت تقول/تقولين في سرك: "توب علينا من شغل البيوت يا رب"، قرآن السادسة صباحًا الذي ينتهي تمامًا في السادسة والنصف مُعلنًا جرس إنذار لاقتراب وقت النزول، خناقات شُرب اللبن، وبوَشان البقسماطة في الكوباية، والطرطشة غير المتوقعة رغم حدوثها كل يوم، ثم شخطتين يبكي بعدها أطفالك، لتربت علهم ويدخلوا في حضنك ولا كأنهم أغضبوك منذ قليل أو ارتكبوا خطأ روتينيًا، ثم تحضير السندوتشات، وتأكيدك على أنهم يجب أن يأكلوها بالكامل، مع التحذير من إخراج اللانشون من قلب الساندوتش وأكله حاف، ثم شكوى العيال من العيش الفينو الذي (برول) أثناء عمل الساندوتش رغم أنه كان طازة بالأمس، ووقفت عليه بالطابور على الفرنة، رافضًا محاولاتهم لإقناعك بشراء الفينو الصغير (ريتش بيك) لأن طعمه لا يعجبك، كما أنه أصغر من المعتاد، وأغلى سعرًا من الطازة!!!

تحضير الشنطة مع العيال سيذكرك بذكريات أليمة لها علاقة بفقرات ظهرك التي اشتكت من حَمل الشنطة التي هي عقاب مصري أصيل لكل من تسوّل له نفسه أن يتعلم في مدارس مصرية، ثم تأكيدك على ابنك ألا يشوط الطوب والزلط بالحذاء الجديد الذي اشتريته في آخر وقت، رغم أنك شخصيًا كنت صاحب الرقم القياسي في تبويظ الجزم نتيجة شوطك للدوم ولعب الكرة بكانزات عصير قها.

فصال المصروف ووصاياك العشر بألا يشتري بوزو أو شيبسي (عشان الديدان)، وألا يحضر ملبِّس وشيكولاتة ومصاصة (عشان سنانه)، وألا يشتري عصائر بسبب المواد الحافظة، أو بيبسي لأنه يسبب هشاشة في العظام، فيكون السؤال المنطقي: "أومال اشتري إيه يعني يا بابا"، لتردّ بحكمة الأب المصري، أو تردين كأي أم (أروبة): "وتشتري ليه.. معاك ساندوتشاتك.. بلاها مصروف!!" لكنه سيأخذ المصروف، وسيشتري البوزو والشيبسي ويأكل الشكولاتة والملبِّس ويشرب العصير والبيبسي، لا لشيء إلا لأنه سيفعل ما تحذِّره منه بإصرار غريب، توحي طريقته بأنك كنت تفعل ذلك في صغرك يا خلبوص (وجاي تعملهم ع العيال).

هناك خناقة (تسريح الشعر) عند البنات، واختيار التوكة، ورغبة الأم في أن يكون (ديل حصان) بينما البنوتة الجميلة ترى أنه يجب أن يكون (قطتين)، مع الحرك والفرك بسبب ضيق الشراب الكولون، وطلب اللبانة التي تبلعها عادة بعد أن ينتهي طعم السُّكَّر فيها، لتتجدد الخناقة، وتكون وظيفة الأم هي التأكُّد من وجود اللبانة في فم ابنتها وهي تسرِّح شعرها وتبكي وتفرك وتريد اللحاق بموعد المدرسة، وبعد أن تفعل كل ذلك، وعلى باب المنزل تطلب البنوتة الجميلة أن تعمل (بيبه)، وأن تدخل الـtoilet!!! وتقول دراسات لم يتم إجراؤها أن هذا الطلب الأخير هو السبب في انتشار القرع عند الزوجات المصريات صغيرات السن بسبب شدهن لشعورهن كل صباح.

ستتوتر بسبب تأخيرك على النزول إلى (الباص) لاسيما وأنك تريد أيضًا اللحاق بعملك، ثم تتوتر بسبب تأخير الباص أصلًا، وربما بسبب عدم وجود شيء تركبه وأنت توصِّل ابنك، ولو حتى توك توك، أو مشيه

البطيء معك وتعثُّره بين الحين والآخر. أو (شيلني يا بابا) وكأنه لا يستطيع المشي، ثم ستقف على باب المدرسة وتقبِّله وأنت تعمل له "باي باي" راجيًا الله ألا يبطح أحدًا. وألا يبطحه أحد في مدارس القاسم المشترك فيها ليس التعليم، وإنما أن يأتي ابنك مبطوحًا، ويردّ الناظر والمدير بابتسامة سمجة تؤهِّله لعمل إعلانات معاجين الأسنان، وهو فاشخ ضبه: "معلهش.. عيال مع بعض"

أنت تعرف طبعًا أن هناك مرحلة ما بعد العودة من المدرسة، ومعركة عمل الواجب، وخناقة: ماكلتش السندوتشات ليييييه، والتي قد تردد معها: شقى عمري ضاااااع.. الملاااحة، ثم توسلاتك لهم أن يناموا وألا يسهروا حتى لا يتعبوكم ويتعبوا اللي جايبينكم ويسمعوا الناس أصواتكم في مشارق الأرض ومغاربها وأنتم توقظونهم في اليوم التالي، وفي الأثناء مطلوب منك ومن أمهم الاعتناء بالمنزل، وممارسة واجبات اجتماعية، والذهاب والعودة من العمل، و(عمايل) الأكل للغذاء والعشاء، وغسيل الملابس، واستجواب العيال عمَّا حدث لهم في يومهم، وغيرها وغيرها من التفاصيل التي تعرفها جيدًا، ورغم كل (قرفها) تعشقها، وتشعر بانبساط وأنت ترى العيال بزيِّ المدرسة، وتسمع صوت النشيد في طابور الصباح الذي تمارس من أجله أقصى درجات الثبات الانفعالي حتى لا تتهوَّر وتدخل لتحضره وأنت تتبع تعليمات مُدرِّس الألعاب وهو يقول: مدرسة صفاا.. مدرسة انتباااه.

لكن أرجوك، بالله عليك، وحياة أغلى حاجة عندك، بحق فرحتك بأبنائك، لا تنس أطفالًا آخرين لن يمروا بنفس التفاصيل لأن أهالهم ماتوا بسبب ثورة أو مظاهرة أو فض أو إرهاب.

المؤكد أنك تعرف بعضهم، وبغض النظر عن رأيك فيهم وفي أهاليهم الذين رحلوا، حاول أن تطبطب عليهم وتكفكف دموعهم، وتتولى مساعدتهم ورعايتهم والاطمئنان عليهم من حينٍ لآخر، ولتعتبرهم مثل بمالك، وكل سنة وانت طيب ومحترم ولم تدهن إنسانيتك بعد.

دروس في الحياة

تقول الحكاية أن أحدهم دخل إلى إحدى الحانات الأمريكية في الدور الأخير لأحد الفنادق الشهيرة واتجه إلى آخر. وسأله فجأة دون سابق إنذار: هل تراهنني أنني أستطيع الوقوف في الهواء دون أن يحدث لي مكروه.

نظر له الرجل جيّدًا، ثم ضحك بشدة وهو يخرج رزمة من الأوراق المالية من جيبه وهو يقول: أراهنك بألف دولار أيها الأحمق. نظر له هذا الـ (أحدهم)، ونظر إلى المال، ثم اتجه ناحية النافذة، وفتحها، وأخرج قدمه اليمنى، ثم قدمه اليسرى ثم دفع نفسه من النافذة و..

ووقف!!

وقفَ على الهواء في مشهد غريب جعل المراهن يفركُ عينيه عدة مرّات، وهو يتأكد أن الأمر ليس به ثمة خدعة، وظَلّ يحملق في الرجل الواقف على الهواء بمنتهى الذهول مما جعل هذا الأخير يقول له بمضض: هيا يا أخي.. أعطني قيمة الرهان ودعني أدخل لأن الجو بارد الآن!!!

أعطاه المراهن الألف دولار وهو غير مصدق، فأخذ الرجل المال وظَلّ يمشي على الهواء وكأنه يؤكد على قدراته، قبل أن يدخل من النافذة مرّة أخرى ويستقر على أرض الحانة.

حسنًا.. مَن هذا الرجل؟؟

إنه سوبرمان شخصيًا وإن لم يرتدِ ملابسه المعتادة، لأن ارتداء "الأندر وير" فوق الملابس سبَّب له العديد من المضايقات والتحرُّشات في المرَّة الأخيرة.

إذن فالدرس الأول للمراهن هو: اعرف خِصمك جيّدًا قبل أن تواجهه.

والدرس الأول لسوبرمان هو: تغيير بسيط في الملابس، ونظام العمل يمكن أن يشعرك بالبهجة!!!

بعد قليل سيخرج الرجل ليحضر صديقًا له، ويراهنه بألفي دولار أن هذا الرجل (مشيرًا لسوبر مان) يستطيع أن يمشي على الهواء، فيقبل الرجل الرهان، ويتجهان لسوبر مان الذي بدا أكثر تعبًا وإرهاقًا وأنه يقضي يومه في هذه الألعاب، وما إن طلب منه أن يقف على الهواء، حتى رفض، فما كان من المراهن إلا أن أخرجه عنوة من النافذة، وسوبر مان لا يقاوم، حتى وضع قدميه على الهواء، ثم دفع بجسده كاملًا في الهواء و..

وسقطَ الرجل وهو يصرخ فزعًا.

بينما المراهن ينظر لما يحدث في ذُعرٍ ومن خلفه سمع صوتًا أليفًا يقول له: قالوا لي أنك تسأل عَنّي وقد تركت شبيهي حتى عودتي من دورة المياه.. ألم ترَ شبيهي؟؟!!

نظر المراهن في ذعر إلى سوبرمان الحقيقي، وقد أدرك الآن أنه خسر ألفي دولارًا إضافية إضافة إلى أنه متهم الآن بجريمة قتل الشبيه.

حسنًا.. الدرس الثاني للمراهن: ثقتك الزائدة في تقديرك للأمور قد تجعلك متهمًا بالقتل.

أما الدرس الثاني لسوبرمان فهو: دخولك دورة المياه قد يجعلك تخسر حياة أقرب الناس إليك!!!

قرَّر سوبرمان الفتك بالمراهن الذي قتل شبيهه، والذي كان بدوره أقرب الناس إليه، ويقال إنه كان يجعله يرتدي "الأندر وير" فوق البنطلون بدلًا منه في بوسترات الأفلام لأن سوبرمان يخجل من ذلك، وهكذا أمسك سوبرمان بالمراهن ولوَّح بقبضته وقبل وصول قبضته إلى فكِّ الرجل دخل الشبيه فجأة من باب الحانة بصحبة رجل آخر، فالتفت الجميع إليه وتوقفت قبضة سوبرمان في الهواء وتهللت أسارير المراهن، وتحدث الشبيه فقال: كنت سأموت لولا هذا الرجل.. تطلَّع الجميع للرجل الذي عرف نفسه قائلًا: اسمي سبايدر مان!!!

الدرس الثالث للمراهن: يجب أن توشك على الموت حتى تعرف معنى الأمل.

الدرس الثالث لسوبرمان: لست وحدك في المنطقة يا صاح.. هناك خارقون آخرون قد يتسببون لك في إحراج شديد.

احتفل الجميع بسلامتهم، واعترض قارئ على محتوى المقال مؤكِّدًا أنه يحتوي على ألفاظ غير طيبة، بينما قال آخر أن المقال غير مفيد بالمرَّة، ويسيء لصورة سوبرمان عند الناس، وقال ثالث إن شرب الخمر حرام لا سيما داخل حانة أمريكية، حتى لو كان من يشربها أبطالًا خارقين، بينما قال قارئ رابع: لماذا لا ننظر للدرس الأخير من المقال؟

الدرس الأخير للقرَّاء: لا يجب أن يكتب كاتب المقال ما يعجبك دائمًا حتى تظلَّ تقرأ له، كما أن الدروس مهما بدت تافهة فهي مفيدة، والأهم من هذا الدرس هو أن المقال.. انتهى.

الناس دي فين يا وديييع؟؟؟

اكتشفت فجأة أنَّ عددًا ليس بقليل ممن أفرد لهم الإعلام مساحات، واحتفى بهم، اختفوا تمامًا، وصاروا ذكرى ما إن تسمع عنهم حتى تقول: ياااااااااااااه.. راحوا فين دول؟؟؟

الشاب الذي تسلَّق أسوار عمارة السفارة الإسرائيلية، حتى وصل إلى السطح وانتزع العَلَم الإسرائيلي ووضع المصري بدلًا منه، وخناقة الإعلام على استضافته، وظهوره الدائم مع صفوت حجازي، والشقة التي قيل إنها أُعطيَت له مكافأة، والشاب الآخر الذي شكَّك فيه وقال إنه هو الذي تسلَّق العمارة ورفع العلم!!! أيااااام

· الضباط الملتحون ومظاهراتهم المستفزة، وخروجهم على وسائل الإعلام، وتسليط الضوء عليهم، ومساندة حزب النور ومشايخه لهم.. راحوا فين دووووول.

· الأخ الفاضل المحترم بتاع: جبنة نستو يا معفنييييين (الإفيه ان اسمه: غفران)!!!

· «نبيه الوحش» المحامي غريب الأطوار رافع القضايا على الفنانين والراقصات.

· «خالد عبد الله».. يا واد يا مؤمن.

· الأخ الذي ظهرَ في إحدى الفيديوهات أثناء أحد حصارات مدينة الإنتاج الإعلامي وهو يؤكِّد: "أنا وهبت نفسي لله يا ولاد الـ.. هعوركم في مؤخراتكم (مشيها مؤخراتكم) يا ولاد الـ.."

· «اللواء شفيق البنا» الذي عمل مع الرئيس الأسبق مبارك، وظَلّ يظهر في البرامج ليتحدث عن فساد العائلة.

· «أشرف بارومة».. مرشّح الرئاسة المصرية الذي لم يترشّح أصلًا، وإنما أغرق الشوارع ببوستراته التي توحي بأن (عدل) مصر سيكون على يديه.

· حزب الأمة، لصاحبه الراحل «أحمد الصبّاحي»، والذي أكّد حين ترشّح في مسرحية انتخابات الرئاسة عام 2005، أن صوته لمبارك، وكان من أشهر مشروعات الحزب إنشاء مدرسة للحلاقة وإخرج أجيال جديدة من الحلاقين، إضافة لتفسير الأحلام.

(لو كان المقال لم يعجبك حتى الآن، أو يقلِّب عليك المواجع، يمكنك مدّ الخيط على استقامته بعيدًا عن السياسة، وستندمج أكثر، وتقول: يااااااه.. أيااااام).

خذ عندك مثلًا: أين ذهب هؤلاء؟؟

· المطربين العباقرة خالدي الذِكر: سامح يسري (والله ما فاكرله ولا غنوة).. إبراهيم عبد القادر (ما أثرش فيه دمع الهوى لما بكى).. شهاب حسني (ناااادم.. ع اللي جرى مني).. حلمي عبد الباقي (ذكريااات ذكرياااات.. عمر عدى وعمر فاااات).. خالد علي (محتار اختار مين فيهم.. هما الاتنين عاجبني).. أحمد جوهر (وحداني يا ليل وحداني.. ولا مرّة الدنيا ادتني).. فريق جليانا (عوااالي يااااا.. عوااالي يااااا.. عوااالي

«!!!!!!!).. حسام حسني (كل البنات بتحبك.. كل البنات حلويين..طبعًا يا ..مدي يا بختك.. وانت اللي قدك مين).

«ماهر القويري».. (الشمعدان زي ما بتحبه.. بيحبك كمان وكماااان).

«محمد عطية».. أول من فاز بجائزة ستار أكاديمي، والذي ذهب الناس لاستقباله في المطار، ثم مثَّل بطولة فيلم، ثم انتهى به الأمر مذيع مباريات بلاي استيشن!!!

«طلعت عطية».. مطرب الأطفال المحترم.

«الأستاذ عبد حوَّاش».. مذيع الفقرة الزراعية في برنامج صباح الخير يا مصر.. انت فين يا عبيد؟

«د.إبراهيم الكرداني».. مذيع النشرة أحيانًا، مُقدِّم صباح الخير يا مصر أحيانًا، مُقدِّم البرامج التعليمية للغة الإنجليزية أحيانًا، أحد العاملين في الأمم المتحدة!!!

القائمة تطول..

ويمكنك أن تضيف إليها العديد من الأسماء، وأن تسأل نفسك.. أين ذهبَ هؤلاء؟؟

درس آخر المقال: الدنيا دوَّارة يا مدحت.

البحث عن زمن البراءة

في الطريق إلى مدرستي القديمة أعددت نفسي لكل الاحتمالات، فهناك من أساتذتي من لن يتذكرني، وهناك من خرج على المعاش وهناك من تمَّ نقله وهناك من توفاه الله.

قلت لنفسي أنَّ شيئًا لن ينتقص من البهجة التي أبحث عنها، وقرَّرتُ أن أتقبَّل مجريات القدر والأيام وتصاريف الزمن على البشر.

في مدرسة الشهيد مصطفى الطباخ الابتدائية في الشرابية، كانت دادا ليلى في نفس مكانها بجوار الباب، وبنفس ابتسامتها القديمة، وكأنها على حطة إيدك، بينما فرَّاش جديد ينظر لي بدهشة: رايح فين يا أستاذ؟؟

كيف تحوَّل الـ (ياض) أو الـ (يالا) إلى أستاذ إن لم تكن تلك الأيام يداولها الله بين الناس، ربما لهذا قطبت جبيني متصنّعًا الوقار الذي يلائم الأستاذ وأنا أسأله عن أساتذتي القدامى وعيني تجري في (الحوش) وأنا المحني أحدف النخلة الكبيرة بالطوب لتسقط أي بلحة محتملة، وأقف عند الإذاعة المدرسية لأقرأ القرآن لأنني الوحيد وقتها الذي أجيده ترتيلًا وتجويدًا، قبل أن أنادي على المدرسة: مدرسة صفاااا.. مدرسة انتبااااه، ثم أعزف بلادي بلادي على الاكسليفون وأنا أردد: دوفافا دوفافا مي فا صول لا فا!!!!

كان الطابور يبدو وكأنه عرض رجل واحد، مثل معظم الأمور وقتها، أما الآن فالحوش أصغر بكثير من هذا الذي كان يقطع أنفاسنا، رغم أنه

نفس الحوش الذي كنا نستضيف فيه كمونة والحضري وعلاء ميهوب ولاعبي الأهلي ليلعبوا الكرة في رمضان مجاملة لسمير كمونة الشربياوي الذي افتتح هناك الآن مقهى ومدرسة كورة لاكتشاف الموهوبين في مركز الشباب.

تقول لي سيدة فاضلة: عايز حاجة يا أستاذ؟؟

أنظر لها نظرة مكتشفي الحياة على الكواكب الأخرى وأسألها عن محمود عبد الله، زميل مدرستي، الذي صار أستاذًا بذات المدرسة، وزميلًا لأساتذته القدامى.

يخرج لي محمود، ويلوّح لي، وأصعد لفصلي القديم باحثًا عن الولد الكلبوظ الذي كان يجلس في تالتة رابع على أول دكة في المنتصف، فأجد مكانه أربع بنات يضحكن في براءة ويتهامسن على الأيباد الذي أمسكه!!!

محمود ابن حلال، ومن الزملاء الذين كنت، ولازلت أحبهم، كان يمسك بخرزانة يقسم لي أنها لزوم الشغل وأنه لا يستخدمها أبدًا، ولهذا اصطنعت تصديقه، قبل أن يطلب منه مجموعة تلاميذ أن يحملوا له شنطته والخرزانة، ويوصلونها لمكتب المدرسين.

شيء ما يشعرهم بسُلطة ليس كمثلها سُلطة وهم يمسكون شنطة الأستاذ، وغالبًا سيكبر هؤلاء ليعملوا في مناصب مرموقة تتطلب حمل الشنطة لكل صاحب سلطة.

يصطحبني محمود للأستاذ مصطفى مسعود أحد عباقرة الحساب في المدرسة، والذي درّس لي وانا في سنة رابعة، ولازلت أتذكره في حصة

احتياطية في نهاية الثمانينات وهو يعلّمنا أحكام التلاوة بصوتٍ خاشع، ويقرأ لنا سورة الجن.

أصافحه في لهفة، وأحتضن فيه براءة قديمة، وفخرًا بتلميذٍ يراه في التليفزيون ولا يزال التلميذ يتشرّف بأنه أستاذه.

يتكرّر الأمر مع الأستاذ أحمد عبد العزيز الذي كان بمثابة الوالد لنا، والذي يشرح كل المواد بنفس المهارة والاقتدار، فألتقط معه صورة أحرص على أن أريها لأولادي.

أترحّم على الأستاذ مصطفى علي حسن زميل دراسة والدي ومدرس اللغة العربية الذي كان حريصًا على تذكيرنا ونحن نغني النشيد الوطني في الطابور أن نقول (وعلى كل البلاد) بكسر اللام في (كل) وليس بفتحها، لأنها جار ومجرور، بينما نحن مصممون على نصبها.

أناشدهم إبلاغ سلامي للأستاذ عبد الفتاح، أطيب من قابلته في حياتي، والذي كتبت له استقالة وأنا في سنة رابعة من منصب أمين المكتبة لأن (العيال مابترجّعش الكتب)، وقد خرج الآن على المعاش.

أخرج من مدرستي الابتدائية سعيدًا مبتهجًا، وأكرّر الأمر مع مدرستي الإعدادية نهضة مصر الإعدادية بنين، مصافحًا الأستاذ أنور عبد المقصود مدرّس الإنجليزي المحترم صاحب الضمير المتقد، والذي يسألني الدعاء لابنه الضابط الاحتياط، وأضحك وأنا أحتضن الأستاذ علاء النوبي الذي يقول لي: انت فين يا كلب والا ما بتظهرش غير في التليفزيون.

أفرح بوصفه وأضحك من قلبي وأصطدم بالعيال في الفسحة، لكني أخرج معبّئًا بالحقيقة المرّة بعد أن أسمع بعضهم يتحدث في السياسة.

سيكبر هؤلاء بعد سنوات ليتمنى كل منهم أن يزيح الآخر تمامًا من حياته، ظنًا منه أن والد أحدهم قتل والده بطريقة أو بأخرى..

وسيحاول بعضهم أن يبحث عن براءة أخرى..

في زمنٍ آخر.

تهمة نفخ البلالين

الاسم بالون، والجمع بالونات، لكننا في مصر نسميها في لغتنا الدارجة «بلالين»، وقد يجرك نفخها إلى السجن..

آه والله.. حصلت..

صديقنا رامي، خرج في إحدى التظاهرات أيام مبارك، وبعد أن وقف مع المتظاهرين الذين لم يكن عددهم يقترب حتى من المائتين، وبعد أن أحاطت بهم قوات الشرطة، والتي ناهزت الألفين، وبعد بعض الهتافات، نفخ رامي بعض البالونات،..

وأقبل الجميع عليه، وأوسعوه ضربًا وركلًا، ثم قبضوا عليه بتهمة «نفخ البلالين!»

تصوَّرت الأمر مزحة ورامي يعيد علينا الحكاية، لولا أن كل الشهود راحوا يتندرون على الواقعة، وكيف كانت الشرطة مرهفة، بحيث تَعُدُّ نفخ «البلالين» في التظاهرات تهمة تستحق القبض على صاحبها.

هنا يمكن النظر للأمر على مستويين..

الأول: هو أن «البلالين» أصلًا تستحق أن تجد من يدافع عنها، وتصرُّف الشرطة -آنذاك- يَنُمُّ عن احترام حقوق «البلالين»، التي ننتهكها جميعًا، ونتحرَّش بها ليل نهار في المناسبات، لدرجة تجعلها تملُّ مِنَّا، و.. «تفرقع».

أما الثاني: فهو أن البهجة التي تُسبِّبها البلالين تستحق العقاب!

هو: هل تدخَّلت الشرطة -آنذاك- للدفاع عن البلالين أم خوفًا
الهجة التي يجب ألا تَعُمَّ على البلاد أو العباد؟!

يا سيدي..

أصلًا مملوءة بالهواء، ومهما كبرت، تظَلُّ عبارة عن هواء،
هي لا تمثِّل تهديدًا على أحدٍ" يقول أحدهم، فيردّ آخر: "ومشاعر
نفسها من يأبه بها؟! البالونة التي تسعد الجميع وتملأ الأجواء
وتعد راعيًا رسميًا للاحتفالات والمناسبات، لا أحد يعيرها أدنى
اهتمام، بل يعطون أنفسهم الحق في انتهاكها، لمجرَّد أن يفرحوا هم!"

الجدل، مثل أي شيء في حياتنا، على أتفه الأشياء، حتى لو كان «دور
البلالين في تكدير الأمن العام»، ووسط كل هذا تكثر البلالين في حياتنا،
تكاثر على مستوى آخر!

البلالين قد تتجسَّد في صورة شخصيات عامة.. منفوخة على الجميع،
تحدَّث من أطراف «مناخيرها»، وتتعالى عليهم، رغم أنها في النهاية
ستطير، أو يصيبها عُطبٌ ما يجعلها تنكمش في نهاية الرحلة، ولن يسأل
عنها أحد، وإنما سينساها، مهتمًا ببالونة أخرى أكثر زركشة ونفخًا.

وقد تكون «البلالين» شخصيات فنية، تتحوَّل في فترة قصيرة من لا
شيء، إلى كل شيء، وتسترعى لفت الانتباه، وينفخها البعض لدرجة
تجعلها تظن أنها أصبحت شيئًا، وتظَلُّ كذلك -مخدوعة- حتى ترتكب
خطأً يستوجب العقاب بأحقر «دبوس».

ومن الوارد أن تتنكَّر «البلالين» أحيانًا في شكل شخصيات إعلامية، تملأ
الدنيا صياحًا، مع أنها مليئة بالهواء.. فقط الهواء، فهي ضحلة التفكير،

لكن لها حق الوجود، ومن الممكن أن تدافع عنها قوات الشرطة بين الحين والآخر.

وهذا لا يجعلنا ننسى «بلالين» الاختبار التي يطلقها الجميع، بين الحين والآخر، لتهيئة الناس لشيء ما، أو اختبار رد فعله، بحيث يفرغون رد فعلهم في البلالين، من دون أن يصاب من نفخها بأي شيء.

عمومًا، ابحث عن «البلالين» في حياتك، وحدِّد موقفك منها، وهل ستشارك في نفخها، أم في «فرقعتها»، لكن المهم أن تحذَر من عواقب ذلك، حتى لا يصيبك ما أصاب صديقنا رامي، الذي لا تنتهي نوادره، والتي يمكن أن نقُصُّ عليكم إحداها في آخر المقال، حين عاد رامي متأخرًا إلى منزله، شاعرًا بجوع لا يمكن وصفه، وفتح الثلاجة، باحثًا عن أي شيء يأكله، فوجد طبقًا مليئًا بالجبن، التهمه عن آخره غير عابئ بطعمه الذي تغيَّر قليلًا، على اعتبار أنَّ الجوع كافر، وفي الصباح، وبينما يتناول مع أسرته الإفطار، إذ بشقيقته تسأل: أين ذهب الـ" mask " الذي كنت أضعه في الثلاجة؟!

لكنك لا تعلم كل شيء

اه والله..

انت لا تعلم كل شيء، مهما ظننت أنك تعرف، ولو حتى في مجالك، ولو حتى في تخصُّصك، أنت لا تعلم شيئًا على الإطلاق!

كل شيء ممكن، وفوق كل ذي عِلمٍ عليم، وما أوتيتم من العِلم إلا قليلًا، ومن قال لا أدري فقد أفتى، والحكاية أنك نقطة في بحر هذا الكون، وحولك ملايين البشر ومليارات الكائنات الحيَّة، وخلفك تاريخ لا تعرف أغلبه، وفي الكون أسرار لن تحصيها، وحقائق ومعلومات تعجز الكتب عن استيعابها، ولعلّ ذلك رحمة بعقلك المحدود، فلا تفكر بَعد أنك في اللا محدود، ولا تُرهِق نفسك في البحث عن العلاقات، لأنها على طرافتها.. مُرعِبة!

خذ عندك يا سيدي..

لو استمررت في النمو بالمعدل نفسه الذي ينمو به أي رضيع في المتوسط، لبلغ وزنك حوالي (178470 كغم) وأنت في العاشرة من عمرك، ولكن كل شيء بقدر، فقُل سبحان الله بعد إذنك، واعرف أن متوسط «مشي» الإنسان طيلة حياته (80 ألف ميل)، وهو ما يوازي الدوران حول الكرة الأرضية مرّتين، وفي هذه اللحظة التي تقرأ فيها هذا المقال هناك (150 ألف) شعرة تنمو في رأسك، وتستطيع عيناك رؤية عشرة ملايين لون!

متوسط حُلمك يا عزيزي عشرون دقيقة، ويمكن أن تشم الروائح وا،
نائم، فاحرص على انتقاء الرائحة التي تشمها، واعرف أن وحيد القرن ا
يعرق أبدًا أبدًا، واحمد الله على حاسة التذوق، فالقِط لا يستطيع نم،،
مذاق الحلوى، فيما الصرصور الذي تدهسه بحذائك يستطيع أن يعيش
أسبوعا كاملًا من دون رأس.

وبمناسبة الصرصور، فهناك رجل بريطاني أكل 36 صرصورا في دقيقة،
ولا يستطيع التمساح مضغ طعامه، كما أن بعض أنواع الدجاج تضع
بيضا أزرق أو أخضر اللون.. أما أسماك الأنقليس، فتستطيع أن تسبح
للوراء، وفي الوقت نفسه تولد جميع القطط.. هه.. جميع القطط، بعيون
زرقاء، أما عين النعامة سعادتك، فهي أكبر من مخها نفسه، وبالنسبة
للنسر، فهو يستطيع وهو طائر أن يلمح الأرنب من على بُعدِ ميل كامل،
وبالنسبة لعدد الحيوانات الأليفة في اليابان، فهو أكبر من عدد الأطفال
أنفسهم في اليابان.

ولتعلم يا عزيزي أن الوقت الذي يأكل فيه الناس لو جمعوه سيكتشفون
الاكتشاف الرهيب بالنسبة لمتوسط أعمارهم؛ وهو أنهم يقضون خمسة
أعوام كاملة من عمرهم في الأكل، ويمكنك أن تتفاخر على أحدهم بأن
تجعله يحسب لك مقدار المليون ثانية، فإن لم يعرف، فأخبره أن المليون
ثانية هي حاصل 11 يوما و13 ساعة و46 دقيقة و40 ثانية.

يشرب الجمل يا عزيزي ما يعادل 500 كوب ماء في عشر دقائق، فيما
تنتج البقرة حوالي 100 ألف كوب من اللبن طيلة حياتها، ويحتاج النحل
إلى حوالي خمسة ملايين زهرة يزورها، لينتج ما يملأ برطمانا متوسطا من
العسل.

يء يمكن أن يتغيَّر.. صدقني، فقد كانت «الكوكاكولا» تُباع في الصيدليات في بدايتها، وهي الحال نفسها مع «الكاتشب» الذي كان يباع ا، واوا

تظنني أكذب عليك، أو أقول أي كلام، ليس لأنني كاذب، بل لأن المعلومات فوق احتمالك، ولعلَّك الآن تَشُكُّ بها، وفي الغالب ستسأل نفسك: مَن هؤلاء الأشخاص الذين فرَّغوا أنفسهم ليدرسوا كل هذه الدراسات، ويوجدوا كل تلك العلاقات، لكن دعني أؤكد لك أن كل المعلومات التي سبقت حقيقية، ودقيقة، ومستقاة من دراسات حقيقية، والمنشورة في أكثر مجلات العالم مصداقية في هذا الصدد، وهي «ناشيونال جيوغرافيك»، ومع ذلك، إن أردت ألا تُصدِّق فلا تُصدِّق، لأن الموضوع فوق احتمالك.. أنا أعرف ذلك، لأنني جرَّبته.

فَنُّ احترام البطاطس

اذهب لأي مكان، ستجد للبطاطس شخصية تفرض نفسها على كل المجتمعات والدول، وتجد لنفسها مكانًا متميّزًا، سواء كانت طبقًا رئيسيًا، أو صنفًا جانبيًا.

البطاطس يا سيدي الفاضل من الفصيلة الباذنجانية، وقد تكره سعادتك الباذنجان، لكن - حتمًا- ستُحِب البطاطس.. لذا، فهي الصنف الذي هو شرف عائلته، لو جاز التعبير.

تقبل البطاطس كل الظروف، فقد تُقطِّعها أصابع، لكن ستأكلها.

تُقطِّعها حلقات وتصنع منها صينية شهية، يُضَاف إليها دجاج أو سمك، وهي لا تمانع أبدًا، وتثق في إمكانياتها، بل إنك من الممكن أن تهرسها، ولا تعترض، ستظَلُّ تعطيك نفس الطعم الشهيّ.

كما أن البطاطس لا تمانع أبدًا من أن تقوم بتمليحه وتخليله وتقديمه كصنفٍ من الأصناف المُشهية، بخلاف العديد والعديد من الأصناف الأخرى.

شوف يا سيّدي القارئ، وأنتِ يا سيدتي القارئة..

لكي لا نختلف..

هذا المقال عن احترام البطاطس، فإن لم تحترمها من المقدمة السابقة، فأرجوك اذهب إلى الكوسة.. أقصد إلى أي مقال آخر يعجبك، ولا تفسد

متعتنا بالبطاطس، التي تعطي درسًا مهما للإنسان والدرس باختصار هو: أنا موجودة، وبعبارة أخرى: عندي بصمة ستشعر بها، وبشكل أكثر تفصيلاً: أنا البطاطس، التي مهما فعلت بها، ستظَلُّ تعطيك نفس النتيجة.. طعامًا شهيًّا.

فهل تستطيع أن تكون مثل البطاطس في حياتك؟

الحياة تقطعك بمتاعبها، وعندك دائمًا حلَّان.. أن تنسحب منها، أو أن تصبح صنفًا شهيًّا، مهما حاول الجميع إلقاءه في الزيت المغلي أو المتاعب التي يجب أن نتعامل معها بوصفها من مفردات الحياة، كما أن الحياة تهرسك، فإما أن تكون «بطاطس»، وإما ستهرسك كل مَن حولك، ومِن الممكن أن يشاركك بطولة الحياة شخص أو صنف أو ظرف آخر، فإما أن تقبل على أمل أن يجدك الناس مختلفًا ومتميّزًا ولا غِنى عنك، وإما أن تدخل في رُكنٍ معتم من ذاكرة النسيان!

البطاطس كذلك تُعلِّمَك الصبر، فهي تصبر على التقشير، وتدرك أن هذه المرحلة مهمة كي تُظهر أجمل ما فيها، وتصبر على تعبئتها في أكياس، وبيعها في صورة «شيبسي» مقرمش، وتتحمَّل الملح، لكي تصبح ألذ ألذ ألذ، وهكذا الإنسان الذكي في الحياة.. يتحمَّل منغصاتها، لأنه يعلم جيّدًا أن الوقوع هو أول خطوة في تعلُّم المشي.

أنت تظنُّ أن العيب في الآخرين، لكن البطاطس لا تظنّ ذلك.. لهذا، فهي تقبل بكل أنواع المعاملة، ولذلك هي موجودة في كل دول العالم تقريبًا، وتحظى بشعبية تجعلها تفكِّر في نزول الانتخابات القادمة.. لذا أرجوك أن تحترم البطاطس، وتنظر في أخطائك، قبل أن تنظر في أخطاء غيرك،

وعندي قِصَّة بطلتها صينية بطاطس شهيَّة قد تتعلَّم منها كيف تلعب البطاطس دورًا مهمًّا في كشف حقيقتنا أمام أنفسنا.

والقِصَّة يا سيدي أنَّ رجلًا يحب زوجته جدًّا جدًّا جدًّا (لاحظ أننا نتكلم عن قِصَّة خيالية)، وفجأة، بدأ يلاحظ أعراض متاعب في السمع عند زوجته، وبدأ يشعر أنها اقتربت من الإصابة بالصمم.. ولأنه يحبها جدًّا جدًّا جدًّا (قلنا إنها قِصَّة والله)، فقد اختار ألا يؤذي مشاعرها ويخبرها بأنها لا تسمع جيّدًا، وقرَّر أن يستشير طبيبًا من أصدقائه.. وحين ذهبَ للطبيب طلبَ منه هذا الأخير أن يجري اختبارًا، لكي يعرف مدى تأخُّر حالة زوجته، بأن يناديها من على مسافة، ويرى هل ستسمعه أم لا، ثم يظَلُّ يقترب حتى تسمعه، ويخبره بالمسافة التي سمعته منها..

صديقنا ذهب سريعا للمنزل..

دخل بيته.. وكانت زوجته تقف على السفرة، مولية إياه ظهرها، وعلى الفور سألها:

ماذا طبختِ لنا اليوم يا حبيبتي؟

واصلت الزوجة ما تفعله من دون أن تلتفت..

فاقترب الرجل أكثر، وسألها: ماذا طبختِ لنا اليوم يا حبيبتي؟

واصلت الزوجة ما تفعله من دون أن تلتفت..

وتكرَّر الأمر، فاقترب الرجل مرّة ثانية، ثم ثالثة..

وحين صبح خلفها مباشرة، وقبل أن يُكمِّل سؤاله، التفتت له زوجته غاضبة، وهي تقول: هذه هي المرّة الرابعة التي أقول لك فيها إنني طبخت صينية بطاطس.. صينية بطاااااااطس، ولكنك لا تسمع..

وهكذا اكتشف صاحبنا أن المشكلة عنده، وأنه هو الذي لا يسمع، وكانت البطاطس هي السبب.

انت جيت -شهقة- يا رمضاااان ☺

- تظَلّ سعادتك تدعو طوال العام: «اللهم بلغنا رمضان.. اللهم بلغنا رمضان».. ثم ها نحن أول يوم من أيام الشهر الفضيل وأنت يا عيني عطشان وطالع عينك، وقد أدركت أن رمضان هذا العام صعب، وأن اليوم ستقضي فيه أطول فترة صيام، تقوم فيها بكل ما يدل على «الأنتخة» وتردّد فيها كلمتك الشهيرة: «اللهم إنى صائم» إذا ضايقك شيء ما، وأنت في قرارة نفسك تسب وتشتم وتعرف أن الله سيغفر لك.

تندهش كثيرًا كيف أنه إذا جاء رمضان سُلسِلت الشياطين مع أنك ما زلت تقابلهم، وقد هربوا من مكانهم الطبيعي وبدأوا في الظهور في الفضائيات عبر مسلسلات غرف النوم وبرامج التوك شو وساحات السياسة، وتقضي يومك في قراءة القرآن وأنت تعلم أنك في الغالب لن تعمل به، وأن ختمك له في كل عام لا يغيِّر من سلوكك، وأنك في حاجة هذا العام لكي تقرأ التفسير؛ فالكل يحفظ القرآن، والكل يفسِّره على مزاجه ويستخدمه حسب مصلحته.

ستستيقظ وريقك ناشف (زي العصاية، على رأي أمي)، مع أنك ضربت الفول والزبادي في السحور، و«قربعت» طِن ماء مثلّج مشبَّر على الأقل، وسيكون «خُلقك» في مناخيرك، وستظَلّ تؤخِّر كل شيء حتى إذا سألك

أحدهم رددت عليه: «رمضان بقى والصيام وكده».. وكأن هذا الشهر يأتي دومًا لاستخدامه في التبرير.

ستتذكَّر سؤالك القديم: هو إحنا بنصوم ليه؟ وكل الإجابات السخيفة التي لا تخرج من «عشان نحس بالمساكين والفقراء» وهو ما يؤكد أنك باقي العام «البعيد ما بيحسش ولا عنده دم» كما يؤكِّد أنَّ الكل «يفتي» في ما لا يجوز فيه الإفتاء؛ فالعبد لله مثلًا لديه نظرية تقول إننا يجب ألا نبحث عن أسباب في بعض الأشياء، وإننا نصوم لأن ربنا عايزنا نصوم، وليس لكي نشعر بالمساكين، فهم أيضًا يصومون.

ستفتقد الزينة التي كان يعلقها العيال في الشارع بعد أن يلموا الفلوس من الجميع ويخرجوا لأنفسهم بـ«أجمد مصلحة»، والفوانيس القديمة التي استبدلوا بها فوانيس صينية بلا روح، وستصر على النزول لبتاع «الطورشي» بنفسك، وتضرب مية خناقة في طابور بائع التمر هندي والعرقسوس والسوبيا، وستتحدث مع أصدقائك لكي تظبطوا جامع التراويح، وتتفقوا على أن تلعبوا ماتش كورة من بتاع زمان من منتصف الليل وحتى قبل السحور.

- كنا ندخل الفصل، فيسألنا أحد المفاعيص من زملائنا: انت صايم؟؟ فتؤكِّد له: الحمد لله، فيطلب منك طلبًا غريبًا: طب طلّع لسانك كده؟؟

وما إن تفعل حتى يجوب الفصل جريًا بشعور المنتصر وهو يؤكِّد أنك فاطر.. فاطر.. فاااااطر، وحين تسأله عن السبب وأنت تقسم بأغلظ الأيمان أنك صائم، يقول لك معلومة شعبية غريبة مفادها أن من يخرج

لسانه في الصيام يصبح فاطرًا!!!، وحين تسأله عن المصدر يؤكِّد لك أنه يعرفها من (زمان) وأن والده أخبره أن (الشعراوي) أفتى بها!!!

حسنًا.. هذا مشهد يستحق العرض على طبيب نفسي محترم. ليس فقط ليفسِّره ويحلِّله، ولكن ليحكي لك عن (العقل الجمعي) للمصريين، وكيف أنه جاهز لتصديق خرافات غريبة الشأن لمجرَّد أن تكتمل خِطَّته في الإيقاع بخصمه، والواقع أن ابن (الذينه) الذي جعلك تفتح فمك وتخرج لسانك يريد في قرارة نفسه ألا يجعلك (سويًّا) و(صائمًا) ولكن (مخطئًا) و(فاطرًا)، وهي حالة غريبة تشبه النكتة الشهيرة التي كان الطلب الأخير لمن سيُحكَم عليه بالإعدام أن يرى والدته، والطلب الأخير لزميله: «ما يشوفش أمه يا باشا».

تستطيع إذن أن ترى هذه التناقضات لكل من يريدك أن تخرِّج لسانك ليستمتع هو برؤيتك (فاطرًا) في كل مكان حولك خاصة في هذه الأيام الغريبة، التي ما إن تراجع فيها نفسك حتى تكتشف أنك تتراجع عن مبادئك لأجل انتصار وجهة نظرك، حيث الغاية تبرر الوسيلة، والمجد للأستاذ ميكافيللي.

- تستطيع أن تكتشف بعد قليل من التفكير، أنه لا يجب أصلًا أن تخرِّج لسانك، ولا أن تفقد مبادئك، لترضي آخرين، فواقع الأمر أن العيِّل المؤذي الذي يطلب منك إخراج لسانك ليست لديه أي ميزة تجعله يقسِّم هؤلاء لـ(صايمين) و(فاطرين)، ولن يغيِّر كلامه عنك بأنك (فاطر) حقيقة أنك صائم، وأن من يحاسبك هو الله عَزَّ وجلَّ، وليس (عيِّل أهبل) يصرُّ على أن يجعلك تلعب نفس اللعبة، لتجد نفسك -إن صدَّقته ووافقت-

تطلب من أقرب الناس إليك أن يخرج لسانه لكي تجعله يفطر هو الآخر.

- عزيزي (أحدهم) الذي يخرج من العدم فجأة ليقف أمام سيارة مندفعة بسرعة 140 كم/ساعة وهو يبتسم فاشخًا ضبه، وممسكًا بكوب بلاستيكي مليء بالبلح، لكي ينال ثواب إفطارك (غصب واقتدار)، أو ينال الشهادة بعد أن تدهسه وتكمّل طريقك وأنت تضحك ضحكة الساحرات الشريرات في أفلام «ديزني»، هل تسمح بعد إذنك لو سمحت أن تقف «على جنب»؛ لأنك تُرعِب فعلًا قائد المركَبة الفضائية الذي تظنه سيتوقّف ويضرب الفرامل ويأخذ منك البلح ويقبّلك ويوقِّع منك الأوتوجراف قبل أن يعود إلى كوكبه مرّة أخرى حاكيًا لهم عن كرم سكان كوكب الأرض الشقيق..

وحياة أغلى حاجة عندك.. حياتك مهمة..

ويمكنك أن تقوم بما تفعله وتنال ثوابه دون أن تُلقي بنفسك إلى التهلُكة، وكأنها عملية استشهادية، ويكفي وقوفك فعلًا على أحد جانبي الطريق، وتلويحك من بعيد بكوب البلح، فإن أراد الكائن الفضائي الشقيق الذي يقود بسرعة جنونية للحاق بضيوفه في المنزل أن يتوقّف وينزل ليشرب سيفعل، ويا دار ما دخلك شر.

- هذه الرسالة أيضًا لأحدهم، الآخر صاحب مائدة الرحمن الجميلة التي أسأل الله أن ينال ثوابها وأن يتجاوز عن حلفانه بالطلاق وهو يقف في عرض الطريق مُقسِمًا على الناس الذين

يؤذِّن عليهم المغرب وهُم عائدون من أشغالهم أن يدخلوا مائدة الرحمن؛ لأنه لا يريد أن «يلبس» كل هذا الأكل الذي «تعب فيه»، بمبدأ: يعني لا ثواب ولا أكل نفع؟

يمكنك أن تتفق مع كل ولاد البلد الجدعان في منطقتك، وتقيموا مائدة رحمَن واحدة كبيرة للناس يجتمعون فيها بدلًا من أطنان الطعام التي ستضطر لأن تجبر الفراخ على أكلها في السطح، ملقيًا بتبعات ذلك على وزارة البيئة وخرم الأوزون.

- عزيزى السياسي فلان والكاتب الصحفي علان.. نعرف أنك أمنجي وتاريخك اسود ومنيِّل بستين ألف نيلة، وأنك لا تتحدث إلا بُناءً على تعليمات تأخذها وأنت على «حِجر» هذا أو ذاك، فهلا كففت أرجوك عن الظهور في رمضان قبل الإفطار حتى لا نخسر صيامنا، وأعدك أن نسأل الأزهر إن كان درء مفسدتك مقدمًا على جلب منفعتك فتأخذ ثواب إكمال الصائم لصيامه بدلًا من أن تأخذ وزر إفطار صائم عليك وعلى اللي جايبينك!!

- عزيزى الشيخ فلان الذي يصرُّ على أن يصلي بجزءٍ كامل في التراويح.. أنا أُحِبُّكَ وأحترمَك، وهناك ناس تذهب لشيوخ غيرك خصيصًا لكي يصلوا التراويح بجزءٍ ويختموا معهم القرآن، لكن هذا الـ«غيرك» حباه الله بصوتٍ ملائكي عَذْبٍ يجعل الناس تبكي من خشية الله، أو لا تشعر بطول الصلاة. أما جنابك فأنت تعرف، وغيرك يعرف، أن صوتك ليس بالحلاوة اللازمة لتحمُّل ركعتين بعد العِشاء، وأنك في الغالب لست مبعوثًا من «الأوقاف» أو الأزهر وإنما الرجل البركة بتاع المنطقة الذي

يصعب عليه أن يهجر الزوايا الصغيرة في رمضان، فيصلي بجزء ويبدو وكأنه يعاقب كل من يقف خلفه بصوته وتلاوته الخاطئة التي لا يلتزم فيها بأحكام التلاوة على أساس أن الثورة مستمرة.. أرجوك.. لا تقف إمامًا إلا بمبدأ «الضرورات تبيح المحظورات» كأن تكون على سفر وتشاهد أحدهم دهسَ أحدهم الذي خرج عليه بالبلح، وقتلَ أحدهم الذي حلَفَ عليه «طلاق» أن يأكل في مائدته وليس مائدة أحد غيره، ثم فجَّر نفسه في السياسي والإعلامي الذي كان مارًا بالصدفة فلم يجدوا مَن يصلي عليهم الجنازة سواك.. فقط لا غير.. ورمضان كريم سعادتك.

جمعة مباركة ☺

المصريون متدينون بطبعهم، لكن لكُلٍّ منهم وِجهة نظره في الدين، ويظهر ذلك دائمًا في علاقتهم بالله عَزَّ وجلَّ، فهناك من يصلّون الوقت بوقته وغالبًا تجدهم مثار سخرية الآخرين حيث العبارات الحمضانة (ما تاخدنا على جناحك يا عم الشيخ) أو (ابقى ادعيلنا معاك يا مولانا)، وفي المقابل تجد البعض يظنُّ -وبعض الظَنِّ إثم- أن صلاة الجمعة وحدها تكفيه، وهؤلاء تجدهم مثار سخرية المعسكر الآخر حيث تجدهم هدفًا لعبارات تأخذ صيغة الدعاء (ربنا يهديكم) أو صيغة الاستنكار (هو انتو فاكرين نفسكم هتوردوا على جنة؟) أو حتى اللعنات النابعة عن أطيب وأرق الأمنيات القلبية (الله يحرقكم).

لكن تبقى صلاة الجمعة عند المصريين هي موعد مع الله لا يتم إلغاؤه أو تأجيله مهما كانت الظروف، وتجد مواعيدهم مرتبطة بالصلاة دون ارتباط بالمواقيت الزمنية العادية (أقابلك الجمعة بعد الصلاة).

وتنفرد مصر دون غيرها من الدول الإسلامية ببعض الإشارات التي تؤكِّد لك أنك تصلي الجمعة في أحد مساجدها، وستعرف ذلك حتمًا في الظروف الآتية:

(1) إذا كان الميكروفون بايظ وبيصفَّر ويدعو الإمام دائمًا أهل الخير للتبرُّع لتغييره ولكنه -رغم كل التبرعات- لا يتغيَّر أبدًا.

(٢) إذا وجدت مسجدين وخمس زوايا في مُربَّع لا يتعدَّى 500 مترًا وكل منهم يؤذن لصلاة الجمعة في وقتٍ غير الآخر (تقريبًا فروق توقيت).

(٣) أغلب المساجد لا يوجد لديها قارئ قرآن يقرأ (قرآن الجمعة) وتتغلَّب المساجد في مصر على ذلك بتقريب (الميكروفون) من الراديو الذي يجب أن تسمع فيه رجلًا موجودًا منذ الأزل يقول العبارة الأسطورية (عشان خاطر الحبيبة العفيفة الشريفة ستنا السيدة زينب) بصوته المنغوم قبل أن تجد من يردّ عليه في وسط القراءة مستغلًّا تجويد القارئ (صلي على حضرة النبيييييييييي).

(4) إذا كان خادم المسجد هو الذي يقيم الصلاة (أو يصلي إمامًا في الظهر والعصر لأن الإمام الحقيقي نائم في بيتهم)، وفي أوقات فراغه -الخادم لا الإمام- يبيع حمص الشام أمام باب المسجد.

(5) عادة يأتي الخطيب متأخرًا بحجة أنه يعطي الوقت للمتأخرين كي لا تفوتهم الخطبة، وبمجرَّد أن يبدأ الخطبة يلعن كل من يدخل بعده لأنه جاء متأخِّرًا، وتكون العبارة التي يتداولها الأئمة غالبًا هي: (يا أخي ده انت لو مدّي معاد لواحدة هتلتزم بيه فما بالك بمعادك مع ربنا).

(6) الميضة (مكان الوضوء) غالبًا ما تكون قريبة من المصلين للدرجة التي تجعلك تسمع صوت استنشاق البعض ومضمضة البعض ويصوِّر لك خيالك المريض بالاشتراك مع الشيطان نفسه صورة استنجاء البعض الآخر.

(7) مراوح المساجد في صلاة الجمعة مثل مراوح مترو الأنفاق تعمل في الشتاء وتتعطَّل في الصيف، ويتمُّ طلب التبرعات لشراء تكييفات لا تعمل بالكامل عشان الكهربا!!

عدد أسطوري من أئمة الريف ما إن تحكي له عن مشكلتك الشخصية حتى تجدها (على سبيل التسييح أو نضوب الأفكار) موضوعًا لخطبة الجمعة التالية مع العديد من النصائح المصحوبة دائمًا بكلمة (مش كده والا إيه يا فلان؟)، وفي الأغلب ستتعلَّم بعدها أن إرسال مشكلاتك (للتليفزيون) نفسه أقل جُرسة بكثير من مناقشتها مع خطيب الجمعة.

(9) إذا سمعت الإمام يلعن كل من يشاهد أو يسمع نانسي عجرم وهيفاء وهبي وكارول سماحة وفيلم تايتانيك وشارون ستون مع مايكل دوجلاس في غريزة أساسية، وغالبًا ستجد الهاجس الذي يسيطر عليك ويحيل حياتك إلى علامة استفهام كبيرة هو (كيف استطاع عمو الشيخ تكوين هذه الحصيلة المعلوماتية الرائعة إلا إذا كان من هواة مشاهدة «ميلودي» والقنوات التي تعرض الأفلام(un cut).

(10) إذا وجدت الإمام يرجو أهل المنطقة عدم إلقاء زبالة عند المسجد، ويهددهم بالدعاء عليهم الجمعة القادمة (ومع ذلك يلقون بها وكأنهم يشعرون أن دعوته غير مستجابة!!).

(11) خطبة الجمعة غالبًا ساعة إلا ربع ودائمًا أبدًا هناك مساجد تصلي الجمعة في ساعة ونصف أو ساعتين، مع إن تعليمات وزارة الأوقاف ألا تتعدى 20 دقيقة، كما أن خطبة الحرم المكي نفسه مستحيل أن تبلغ نصف ساعة.

(12) إذا كنت في قمّة خشوعك أثناء الصلاة ثم وجدت موبايل يرن (رحب.. حوش صاحبك عنّي) أو يعلن عن مجيء رسالة بالنغمة الشهيرة (بوسطة يا باشا).

(13) إذا شتم الإمام المعارضة والعلمانيين ودعا على اليهود والنصارى، ثم دعا على الحكومة بالخراب قبل أن يدعو للرئيس الذي عيَّن هذه الحكومة بدوام الصحة والسعادة هو والأنجال.

(14) إذا اعتلى المنبر شخصٌ غير الإمام كل مؤهلاته أنه (مربي دقنه) ويستمد شرعيته الوحيدة من مناداة الناس له بـ (عم الشيخ) ومشاهدته لقناة «الناس»، وغالبًا يقول كلامًا ما أنزل الله به من سلطان، ورغم ذلك تجد الناس تومئ برأسها مستحسنة وتتسارع لمصافحته، ودائمًا أبدًا تجد هذا الشخص ينظر لإمام المسجد الحقيقي بتاع الأوقاف (والذي سبقه صاحبنا في اعتلاء المنبر) بنظرة استغراب وهو يتساءل بدهشة زائفة (الله.. هو انت هنا يا مولانا.. أنا آسف ما خدتش بالي)

(15) إذا وجدت تنجيد إحدى العرايس بجوار باب الجامع والـ«دي جي» على أعلى درجة مما يدفع الإمام لدعوتهم بمنتهى الذوق لإغلاقه مؤقتًا (يا ريت نخلي عندنا دم ونقفل النيلة ده).

(16) إذا وجدت أحدهم يمرُّ بالفيسبة الصيني ذهابًا إيابًا أثناء الصلاة وهو مشغِّل الكاسيت بأعلى صوت على (اتلح لح روح سينما.. العبلك دور دومينة)، وهي الأغنية المناسبة لأجواء التفكُّر والتدبُّر والخشوع على أساس أن اسمها (العبد قال للشيطان لا!!).

(17) إذا وجدت الشخص المجاور لك في الصلاة يتسلّى أثناء الخُطبة بقرقضة أظافره أو اللعب في أصابع قدمه أو على أقل تقدير يصطاد الدبان.

(18) إذا وجدت العيال الصغيرة التي تحضر الخطبة تلسع بعضها بالأستك ويكون حظك أن قِشر اليوسفندي يلبس في قفا سعادتك.

(19) إذا وجدت أحد المصلين يدفع العيال الصغيرة بغلظة تصل لدرجة (غور ياض) لكي يجعلهم يصلُّون في الصف الأخير ويأخذ هو مكانهم (على فكرة بيكون جاي متأخر وبيكون اتلسع بالأستك من نفس العيال).

(20) أغلب المُصلّين لهم وجهة نظر في (الصفِ)، وهو دائمًا صفٌ أعوج بسبب أن كل منهم له مفهومه المستقلّ عن الصفِّ، رغم وجود خط على السجادة لو اصطف عليه الجميع خلصت الحكاية.

(21) بعد التسليم، أول كلمة تسمعها في الصيف (حَمَاااار وحلاااوة يا بطيييييييخ)، وفي الشتاء (الأربعة بـ10 يا يوسفنديييييييييي) حيث يحتلُّ باعة الخضار والفاكهة الأرصفة.

(22) إذا كنت قلِقًا من (ركنة) سيارتك، لأنك واثق أنك ستخرج لتجد أحدهم (قافل) عليها، وها أنت تستعد للخناقة من الآن.

الزتونة!!

■استفتاح: عزيزي القارئ المحترم.. ابحث عن المشترك بيننا، ودعك من الهري والخناقات التافهة والتخوين والتصنيف الذي تصنّفه لي بناءً على معتقدك.. ممكن؟؟

■القافلة لا تسير، لكن الكلاب ما زالت تعوي.

■لا أتعجّب من الغبي الذي لا يعرف، بل من الغبي الذي يتفاخر بغبائه.

■إن لم تستطع أن تكون الحُسين، فعارٌ عليك أن تكون يزيد.

■نعيش في زمن الأرجزة!! حين يتحوّل من يتصدرون الساحة في كافة المجالات إلى أراجوزات.

■وناس تتمنى مصر أحلى.. وناس عايزاها تبقى وحلة.

■اعترافك بأخطائك مهم، وتعلُّمك منها أهم، لكن أن يظلُّ الجميع يعاقبونك على نفس الخطأ مرّات ومرّات ومرّات ومرّات.. شيء مستفز.

■نحن شعب لا يقبل التوبة.. كلنا.

■كيف أصبحت أغلب أحاديث الحياة تدور عن الموت في هذا الوطن المكلوم؟؟ كيف أصبح الألم معتادًا إلى هذه الدرجة؟؟

■سامح الله العيش والملح الذي يمنعنا من الردّ على من لم يصونوه حتى لا نصبح مثلهم..

■المعسكر الأكبر في مصر الآن يعمل بمنطق: مفيش ملوخية بالأسُود الملوخية طول عمرها بالأرانب.. والنتيجة أنَّ الكُلّ بيستأسد بس بيطلع أرنب.

■هذا البلد ليس فيه من لم يطله أذى التخوين والتصنيف والشتيمة. بلد بلا حكماء. بلا إجماع على محبة شخص. بلد بلا رمز أو مرجعية. خسارة والله.

■مصيبتنا الكبرى التي دمَّرت حياتنا هي التصنيف.. يذهب احترامنا للجميع دون استثناء بسبب تصنيفاتنا الغبية، والنتيجة أنه لم يتبقَ أحد نراهن عليه.

■سأتفهَّم اختيار الناس الذي دفعهم إليه الجميع دون أن أتعالى عليه. سأتفهم أن النُّخَب والقوى السياسية والثورية باعوهم وسط الخناقة ولذلك كرهوهم تمامًا.

■الجَنَّة حلوة مفيش كلام.. بس لما بتشوف مين الناس اللي ممكن تخش النار بتعيد تفكير.

■عدد كبير ممن يسمون أنفسهم بالمحللين الاستراتيجيين بيفكّروني بالواد اللي بيسأله هنيدي: اسمك إيه ياض.

-تفاهة..

-اسمك إيه؟؟؟

-تفاااااهة..

■الحرب ما بتخلصش إلا لما حد ينتصر، وبعدها برضه يقعدوا يتفاوضوا: المشكلة ان الناس دلوقت داخلة حرب مصممة تسحق فيها الطرف الآخر وتمحوه من الوجود.

■طبّق القانون على الجميع دون هوى.. أقِم دولة العدل.. تصلح كل شيء.. والله كل شيء.

■مطلوب ألا تنتقد لأن ده مش وقت نقد.. إحنا ف معركة وكده.. نخلُص المعركة وبعدين نتكلم!!!

■مطلوب أن تلغي تعاطفك الفطري وتفقد إنسانيتك لأن عدوك قد يستفيد منها ويكسب أرضًا جديدة.

■الأغلبية لحزب اللامنتمين.. والكارهين لكل ما يحدث من الجميع، والذين يخونهم الجميع لأنهم لا يقولون ما يريده.. الناس دي كتيرة أوي أوي أوي.

■المدن زي البشَر.. فيها اللي دمه خفيف، وفيها الرخم، وفيها قليل الأدب، وفيها اللي ما تطيقش تقعد معاه.

■لا يباري البذيء سوى شخصٍ أكثر بذاءة، لكن المباراة لا تنتهي، ولا يهزمه سوى شخص أكثر أدبًا يترك له صحيفته يملأها بما شاء، وعند الله تجتمع الخصوم.

■إلى امرأة لم تأتِ بعد: خليكي عَنِدك إحنا جايينلك.

■للبيع: ساعة بيولوجية.. مظبوطة على مواعيد مدارس أولادك وبتصحيك في يوم الإجازة كمان.

■المعرفة لعنة.. لكنها تجعلك زاهدًا في الدخول في كل المهاترات والمعارك الدائرة حولك، لأنك ستراها في منتهى التفاهة لا سيما وهي تدور بين من لا يعرف.

■ في كل مصيبة تحدث في مصر.. يتهم الجميع الجميع ويحمّلونهم المسئولية.. دون أن يهتموا بحق الضحايا.. نخبة عفنة ومسئولون ماتت ضمائرهم وقوى تعفنت.

■الأمنيات الطيبة لا تغيّر الواقع، والإنجاز يخرس الجميع.

■بكرة تشوفوا مصر.. يا بكرة تعالى الله يكرمك عشان إحنا زهقنا والله.

■ابحثوا عن أي فرحة مهما بدت تافهة، فستدركون قيمتها حين ينضب الفرح تمامًا، وحين تصبح البهجة مجرّد ذكرى.

■حين تكتب صحيفة: عدلي منصور خرج عن صمته.. فاعرف أنه راح يشتري حاجة وراجع على طول.

■أخشى على الذين يرفضون ترشُّح السيسي أن.يأتي عليهم من يلومهم ويقول لهم ما قاله فؤاد المهندس: حكمة اليوم: كنتي سيبيه يمسكها يا فوزية.

■هل تَنشُد العدالة أم الانتقام؟؟ العدالة هي أن تحاسب كل المخطئين والقتلة وِفق القانون، والانتقام هو أن تنتقي مِن بينهم كبش الفداء تاركًا الآخرين.

■كثيرٌ ممن يكتبون في صحافتنا، تتحوّل كتاباتهم للأسف من فعل إبداعي إلى فعل بيولوجي.. وهؤلاء يجب أن تقول لهم بعد أن ينتهوا من كتابة مقالاتهم: شفيتم.

الابتذال حين ملأ الشوال!!

«مباحث الآداب تُلقي القبض على (فلانة) دون سبب..»

أما فلانة، فهي فنانة معروفة، وأما العنوان فهو منشور في أحد المواقع الإلكترونية التابعة لصحيفة ورقية، وأما سعادتك فأنا متأكد من أنك تقول في عقل بالك: «هي مباحث الآداب إيه اللي مشغلها في رمضان»؟!

ستتحرك ذاكرتك الانتقائية يا سيدي (الأرشدوق) على حسب موقفك من الفنانة فلانة، فتنتقي مشاهدها (اللي مش ولابد) لكي تقول: طبعًا.. هي تستحق.. كان باين عليها من زمان.. أنا عارف هذه الأشكال.

ولو كنت تحبها ستلعن سلسفيل جدود الداخلية على مباحث الآداب، وذاكرة الانتقائية تتذكرها كفتاة أحلامك، وتنتقي لها مشاهدها التي أدتها بمنتهى الملائكية، ويا سلام لو أن الفنانة فلانة لها رأي سياسي، فوقتها ستقسم بأغلظ الأيمان أن القضية مفبركة وأن الداخلية عادت لسابق عهدها، لكنك ما إن تبدأ في قراءة الخبر، حتى تكتشف أن الفنانة فلانة تقوم بدور في مسلسل، وأنها في هذا الدور تلقي مباحث الآداب القبض عليها. يسمون ذلك الابتذال الصحفي، ويمكنك مد الخيط على استقامته لترى إلى أي مدى وصلنا في ابتذالنا، خصوصًا في (توجيه) و(تضليل) و(تسخين) وأحيانًا (فبركة) الأخبار السياسية، واستقائها من أي جلسة نميمة، أو استخدامها في تصفية حسابات، كأن (تهبش) في (أحدهم) لمجرَّد أنه قال رأيًا لم يعجبك، وبدلًا من أن تردّ عليه (بالأدب) تتفرغ

(للردح) ليقال مستقبلًا إنك (عَلّمت) على هذا الوغد، وكلها تصفية حسابات سياسية لا أكثر ولا أقلّ، ولربما نتحدَّث عنها بعد رمضان، لأنها من المفطرات بجدارة، لا سيما وأنت تكشف علاقة هذا بذاك، وتلك بهؤلاء، وسَلِّم لي على المهنية.

- من الابتذال الذي ملأ الشوال حالة التعميم الخطيرة، التي تجرّنا إلى مناطق يصبح فيها الاختلاف مع أحدهم كفيلًا بإطلاق حُكم على فصيل كامل، ولعلّ الجالية السورية في مصر أبلغ مثال. يأتي أحدهم لكي يرى أنَّ سوريين يخرجون مؤيدين لمرسي، أو يطلق الأمن تحذيرات من وجود عناصر (أجنبية) في أماكن التظاهرات، فيتم تعميم الأمر على الجميع، والتحريض عليهم بقصد أو دون قصد، في خطاب لا يختلف عن هؤلاء الذين حرَّضوا على الشيعة بالمرّة، في استدعاء (بغيض) لاستخدام العنف ضد (فصيل) كامل، وضع بدلًا من السوريين كل هؤلاء الذين تختلف مع بعضهم فتعمم الأمر على الجميع، من إخوان أو سلفيين أو إصلاحيين أو إعلاميين أو صحفيين أو أي جن أزرق، وبالمناسبة: هناك خبر لم يكتبه أحد، وهو أن السوريين الراغبين في دخول مصر أصبح لزامًا عليهم أن يحصلوا على تأشيرة دخول توافق عليها الإجراءات الأمنية ولا تستغرق أقل من شهر، إن لم يكن يزيد على ذلك.

يسمون هذا ابتذالًا في المواقف والمبادئ يمكن تطبيقه على كل مناحي الحياة وها هي السياسة نموذجًا.

- أما لو شاهدت مسلسلات رمضان، فستعرف معنى آخر للابتذال. وهنا لا أجد أبلغ من تغريدة الصديقة رانيا شكري، على «تويتر»، حين كتبت أمس عن مسلسل غادة عبدالرازق على سبيل المثال لا الحصر: «مسلسل غادة عبدالرازق: أمها بتخون أبوها.. وأخوها بيخون مراته ومراته بتخونه.. وجوزها بيخونها مع أختها.. إنها حقًّا عائلة واطية»

رمضان كريم يا مبتذلين.

هيًا بِنا نجري!

كان الكتاب مختبئًا وسط المكتبة، بعد أن أهداني إياه الناشر الصديق شريف بكر، ولا أعرف ما الذي جعلني ألتقطه قبل أيام، لأقع في غرامه، ولأعترف يا صديقي القارئ أن الكتب مثل النساء، منها من تسعد بصحبتها، ومنها من تكتفي بالتطلُّع إليها عن بُعدٍ، ومنها من يجب أن تهملها، ومنها من تقع في غرامها، لتبدأ قِصَّة حُب مختلفة لم تكن تنتظرها، وهذا الكتاب من هذا النوع.

صحيح أنني لا أُحِبُّ العبارات على منوال (الكتاب الأول من نوعه في العالم العربي)، وصحيح أن غلاف الكتاب لم يكن على المستوى المطلوب، لكن من قال إن قصص الغرام بالكتب تعرف هذه «الشكليات»؟!

الكتاب اسمه «الجري»، وهو عن سلسلة أتمنى أن تجد العناية اللائقة، واسمها «تاريخ غير تقليدي»، وهو -للأسف- كتاب مترجم، وأقول للأسف، لأننا لم نعرف كاتبًا عربيًا اهتم بالبحث الدقيق في التاريخ غير التقليدي لتفاصيل حياتنا المختلفة، لكن هذا الكاتب فعلها.

اسمه «ثور جوتاس»، وُلِدَ في النرويج عام (1965)، وهو مهتم بكل ما هو غير تقليدي في التراث والفلكلور، وحين أراد الناشر أن يتفق معه على لقاء وزيارة لمصر تتبع ترجمة كتابه إلى العربية، ردَّت وكيلته الأدبية، بأنه منشغل حتى نهاية العام بزراعة 1000 شجرة!

اندهش الناشر، وسأل عن السبب، وهل هذا ضمن مشروع كبير، أو حملة يشارك فيها، فجاءه الرد أنَّ كتاب جوتاس عن تاريخ «الجري» باع آلاف النسخ في العالم، وقد شعرَ المؤلف بذنبٍ، لأنه استهلك كل تلك الأوراق في طباعة هذه النسخ، وهو ما يعني أن الأشجار التي قطعت لصناعة هذا الورق أثَّرت في البيئة.. وبحساب عدد النسخ المُباعة، وعدد أطنان ورق الطباعة، ومقارنتها بالورق الناتج عن شجرة واحدة، اتضح أنها 1000 شجرة تمَّ استهلاكها وقطعها.. وهكذا، قرَّر جوتاس أن يزرعها من جديد!

الكتاب ممتع بحق، ويصلح لأن تحكي منه قصصًا لأبنائك حول الجري وتاريخه، وكيف كان الإنسان البدائي يجري خوفًا من الطبيعة، ثم كيف تطوَّر الأمر، حتى وصل لسباقات الماراثون الأولمبية، التي تجلب الإنجاز لبلدان أبطالها، ويتابعها العالم في ترقُّب، منتظرًا تحطيم الرقم القياسي.

ويقذف بك الكاتب في أعماق التاريخ، لتشاهد حُب رمسيس الثاني للجري، إثباتًا لقدراته البدنية والصحية أمام شعبه في احتفالات عيد الشكر، وكيف استمر في ذلك، حتى بعد أن تعدَّى عمره التسعين عامًا، كما يذكر كيف كان يساهم (الجري) في إنقاذ حياة الناس، وكيف كان يجري أحدهم لأميال، ليأتي بعفو عن جريمة سينفَّذ فيها حُكم الإعدام، وكيف كان العدَّاء يصل قبل تنفيذ الحكم بثوانٍ، لينقذ صاحبه، ويصبح العدَّاء بطلًا محمولًا على الأعناق، قبل أن يتسبَّب ذلك أحيانًا في موته، لأن قلبه لم يحتمل، ثم لابد أن تذهب مع الكاتب إلى الهند، لترى العدَّاء وهو يجري في الطرق غير المعبدة لتوصيل الرسائل في المناطق التي لا تصلها المواصلات، وكيف تطوَّر الأمر إلى سباقات مع الأفيال، وهي

السباقات التي تحمل في طياتها رعبًا من الدهس تحت أقدام الفيل قليل الصبر الذي قد يدهس العدَّاء أمامه، وهو يصدر صوته المرعب، وكيف دخلت الرهانات في الجري، لتصبح سباقات الجري من مصادر دخل العديد من الناس، لدرجة أن أحدهم كان يتخفَّى ليغيِّر شخصيته في إنجلترا، بعد أن عرف الجميع بأنه الأسرع في العالم، وأن الرهان أمامه يصبح خسارة، كما يربط الكتاب بين الجري والضحك والمرح في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث ارتبط الجري بالفكاهة وطقوس الضحك والمرح، وكان من الغريب أن الركض عاريًا موضة إنجلترا في القرن الثامن عشر، حيث كان الرجال والنساء يجرون عراة في الشوارع في سباقات شهيرة، ويشاهدهم الناس الذين يصطفون على الجانبين، والأعجب في الكتاب الذي يتناول العديد من القصص والحكايات عن الجري وتاريخه غير التقليدي، هو كيف تحوَّل الجري إلى إدمان جعلَ أطباء نفسيين أميركيين يناقشون آثاره على المدمنين!

ولم ينسَ الكتاب الإشارة إلى أساطير العدو في السباقات الأولمبية، وكيف كانت حياتهم مُلهِمة، حيث كانت إحدى العدَّاءات مصابة بشلل الأطفال في صغرها، فيما كان عدَّاء أفريقي آخر من هواة الجري في بلده لسرقة المواشي، لكن يظلُّ أسطورة المغرب «سعيد عويطة» هو الأبرز، فكيف كان لاعبًا لكرة القدم في سن الثامنة عشرة، وكيف كان يجري حافيًا، قبل أن يركِّز في الجري فقط، ليدخل الأولمبياد في بداية ثمانينيات القرن الماضي، ليسخر منه البعض، معتبرين إياه ذلك (العربي الصغير) الذي جاء ليجري وسطهم، لكن سعيد ينال المركز الثاني في أول مشاركة له، بفارق أجزاء من الثانية، ثم ينال الميدالية الذهبية في سباق 5000 مترًا،

أصبح بطلًا وطنيًا في المغرب، وتُعلّق صوره في البيوت والمقاهي بجوار صورة الملك الحسن الثاني، ويعالجه طبيب الملك حين يمرض، ويصبح أسطورة لا تُنسَى في تاريخ المغرب والرياضة بشكل عام، حيث فاز بـ 115 سباقًا، من أصل 119 سباقًا شارك فيها، وصنع بها أسطورته.

ولم ينسَ الكتاب الممتع أن يتحدَّث عن أحذية الجري كاستثمار، وكصناعة ضخمة، كما لم ينسَ أهمية الجري كعلاج أحيانًا، وكأسلوب من أساليب تقليل الوزن عند الجميع.

وبعد أن تنتهي من هذا الكتاب، لا تتعجَّب إن وجدت نفسك تنظر لمن حولك وتقول لهم: هيًا بنا نجري.

تكنولوجيا الملابس الداخلية

في الوقت الذي «نهري» فيه عن جواز الترحُّم على نيلسون مانديلا من عدمه، ونتخانق على «سارة» التي ضحكوا علينا وأخبرونا أنها ملكة جمال مصر، فأعطت طاقة أمل لملايين المصريات اللاتي اعترضن فجأة على درجة جمالها، وفي اللحظة التي تأهَّل فيها المصري «عمر سمرة» للسفر إلى الفضاء الخارجي بعد مسابقة وتصفيات عالمية، من اللطيف حقًّا أن أذكِّرَك أن العالم يتقدم للأمام ولا ينظر في كل هذه التفاهات، أو أنه يضعها في صفحة مظلمة من الذاكرة بمجرَّد أن يسمعها، ولا «يهري» فيها لأكثر من ساعة، إن حدث هذا أصلًا وأظنه لا يحدث.

كانت أمريكا هي أقوى دول العالم، صاعدة بسرعة، قوية اقتصاديًا وعسكريًا وعلميًا، حين لطمها الاتحاد السوفيتي بصدمة شديدة، وهي سفرهم للفضاء قبلها، وأحدث هذا صدمة كبيرة للدرجة التي جعلت الكونجرس يصدر تقريره الشهير «أمة في خطر» ليتحدَّث عن التعليم في أمريكا، وبالمناسبة، صدرت أمس الأول دراسة مصرية مهمة عن جدوى التعليم في مصر، وهل هناك جدوى منه أم لا، ربما نتحدَّث عنها لاحقًا، لكن أمريكا كان لديها، إلى جانب حربها الباردة، ما يجعلها تفكِّر في تقدُّمها العلمي، بعيدًا عن «الهري»

الآن نحن «نهري» وغيرنا يتقدَّم، وأمريكا نفسها التي جلست لتطور الـ«آي فون» والـ«آي باد» من شركات «أبل»، سبقتها روسيا ثانية حين صنعت

أول جهاز محمول بشاشتين، إحداهما تعمل بتقنية الحبر الإلكتروني و«لا تفصل شحن!»

نحن ما زلنا «نهري» ونحكي في المحكي ونعيد في المُعاد ونرغي ونزيد في نفس الموضوعات ونقول نفس الكلام ونخطئ نفس الأخطاء، والعالم من حولنا يفكِّر في التكنولوجيا للدرجة التي تجعله يتعامل معها كرفاهية، فينتهي من الاحتياجات الأساسية للبشر ويبدأ في الاهتمام بما نسميه «الرفايع» أو نعتبره من «سفاسف الأمور»، ولربما نقول: «إيه التفاهة دي؟» دون أن نسأل أنفسنا: وماذا صنعنا نحن، إذا كنا نستورد التكنولوجيا من الصين، وما زلنا نتحدَّث عن العِلم بمنطق «سادسة ابتدائي» ستعود أم لا؟ ونظام الثانوية العامة كيف يتم تطويره؟ والمخترع الذي نال براءة اختراع عن أي كلام يا عبدالسلام.

منذ عدة أعوام، تقابلت مصادفة مع أستاذ فيزياء في كلية العلوم جامعة القاهرة غيَّر كثيرًا من مفاهيمي عن الحياة وأدب الخيال العلمي، حين أخبرني أن آلة الزمن موجودة بالفعل، لكن ليس كما نقرأ عنها، وإن كانت مُرشَّحة للوصول إلى هذه الدرجة، والمفارقة أن مخترعها روسي واسمه تشيرنوبروف!! لكنه أذهلني حين أخبرني أنه وصلَ لاختراع مادة تقوم بتصغير الأشياء، ويقوم بتطويرها وإجراء أبحاث لمعرفة هل يمكن يومًا أن تقوم بتصغير البشر أم لا، لكن هذا الرجل لم أسمع عنه شيئًا بعدها، ولا عن اختراعاته، وضاعت مِنّي وسائل الاتصال وفرقتنا الأيام، ولا أعرف إلى أي شيء وصلَ، لكن أعرف أننا ما زلنا «نهري» وأنه -حتمًا- لم ينَل ما يستحقه من هذا البلد، فبالإضافة إلى أننا وطن لا يُقدِّر قيمة العلماء بقدر تقديره للراقصات ولاعبي الكرة، فإن اهتمامنا بالسياسة والخناقات

فاق اهتمامنا بمعرفة الجديد في العِلم وتطويعه لخدمة الإنسان في مصر، وهو نفسه الإنسان الذي لا يجد أكلًا ولا شُربا في بعض قرى الصعيد، ويبحث عن جمعيات خيرية تقرضه البطاطين أو تبني له سقفًا يحميه من المطر لأن بيته من الطوب النيّ، وسقفه من عروق الخشب والخوص!!

بينما العالم الآن وصلَ لدرجة رفاهية غريبة في التكنولوجيا ليستخدمها حتى في الملابس الداخلية!!

طلبة في الهند يطورون حمّالات صدر نسائية تصدر موجات كهربائية تقوم بكهربة المتحرّش، وباحثون يطورون حمّالة صدر حريمي ذكية لتتعرف على نشاط قلب المرأة وحالتها المزاجية والعاطفية وتصدر إشارات لهاتفها المحمول ليمنعها من تناول أطعمة معينة تزيد من وزنها وتُغيّر من حالتها المزاجية!!

وآخرون يطورون ملابس داخلية كاتمة لرائحة الغازات منعًا للمواقف المحرجة، وهو الصنف الذي ربما ينجح في مصر إذا بُيع في الموسكي ليشتريه محبو أكل محشي الكرنب والقلقاس والبيض!!

قلت لي بقى هل يجوز الترحُّم على «مانديلا» أم لا؟

يا واد يا عنصري

لا أحب التعميم، لكني أتوقَّف كثيرًا عند العديد من تصرُّفاتنا كشعب له مزاج عام يميل إلى السخرية من الآخر وتحقيره لدرجة تجعلني أتساءل لماذا لا نعترف أننا شعب عنصرى بامتياز، لا أحد يسلم مِنَّا حين نضعه في دماغنا.. أيًا كان.. وفي أي وقت.

هل الأمر له علاقة بالاحتلال الذي لعبَ بِنا الكرة فظللنا محتلين مئات السنين من كل من هَب ودَب، قبل أن يحتلنا حُكَّامنا ونحتلّ أنفسنا بميراث الجميع.. أم أن للأمر علاقة بالعقلية المصرية التي لا يعجبها العجب؟

نحن أول من يسخر من أشكال بعضنا البعض، فالقصير هو (قزعة). واتقِ شر كل من اقترب إلى الأرض، وكل قصير مكير.

الطويل أهبل، زرافة، أبوطويلة.. وحتى حين يفخر الطويل بنفسه فيقول الطول هيبة فإنه يتبعها بالسخرية من نقيضه وانتقاصه فيستطرد والقصر خيبة.

الشخص التخين يعاني الأمرّين، فالناس تتحرّش به في صغره أو تصفه بالتخين الفِشلّة، مرات عسكري ياكل البسلة ويعطينا جمبري، في أول حالة عنصرية تستند إلى خيال علمي في التاريخ. التخين هو فيل، حبظلم، بكابوظا، طفِس، ياكل أكل عائلت، ويقعد عليك يفطسك، ولا تعرف

طبعًا السبب الوجيه الذي سيجعله يقعد عليك، لكن الاتهام جاهز، والسخرية جاهزة.

أما الرفيع النحيف فهو مسلوّع، معصعص، مش باين، عصاية، وتنفخ فيه يطير.

ضعيف النظر الذي يرتدي نظّارة هو في الأساس أضبش، أبوأربع عيون، نظره شيش بيش، وإذا اصطدم بأحدهم أثناء سيره فإن أول كلمة سيسمعها هي: «مش تفتح يا اعمى؟».

صاحب الشَعر الكثيف نسخر منه والأقرع نجعله مسخة، وينسحب ذلك على لون البشرة، فرغم أن لدينا مثلًا يؤكّد أنَّ الجمال في السمار فإن أصحاب البشرة السمراء ما زالوا يعانون من السخرية من بشرتهم، صحيح ليس بالشكل الذي كنا نسمع عنه تاريخيًا في أمريكا أو في جنوب أفريقيا، لكن الأمر ما زال موجودًا، وحين تمد الخيط على استقامته لا بد أن تصل للسخرية من الأديان وما يتبعها من طقوس أو شعائر أو ملابس، فالمسيحي هو كفتس وعضمة زرقاء و٤ ريشة، بينما الملتحي بمقشة أو متزمت أو رجعي أو ربما رئيس جمهورية.

ليس غريبًا إذن أن تكون شتيمتنا لبعضنا البعض بالأم رغم تقديس الأم في دياناتنا ومكانتها، وأن نرفض ازدراء الأديان بينما نسمع سبّ الدين على ألسنة من حولنا ليل نهار، وأن ندعى على بلدنا لكننا نكره من يقول آمين، وأن يدخل الطفل الصغير عندنا فقط تقريبًا في حضن أمه حين تضربه، وكلها تبدو متناقضات وازدواجية محفورة بداخلنا ومترجمة في سلوكنا ومشاعرنا.

أشعر أحيانًا أن الثورة وجّهَت كل مشاعرنا السلبية والمختلطة

والازدواجية التي نتعامل بها كثيرًا مع بعضنا البعض إلى عالم السياسة. فأظهرت أسوأ ما فينا بعد أن كنا نظن أنها أظهرت الأجمل والأنبل. وذهبنا إلى تصنيفات بغيضة أتمنى أن نراجع فيها أنفسنا، لاسيما ما يتعلّق منها بمن سميناهم الفلول، فأصبحنا نرفض كل ما يقال منهم، ونحاول أن نقصيهم، وتنتهي نقاشاتنا معهم بخناق وسبٍّ متبادل ومعايرة بالمواقف، ولو قامت ثورة الآن واستمرَّ أسلوبنا سيصبح الفلول ثوارًا والثوار فلولًا وسيظَلُّ الاشتباك موجودًا دون أي أمل في مجرَّد هُدنة.

خلافاتنا السياسية أصبحنا نصنِّف فيها غيرنا ولا ننظر للمرآة حتى نرى أنفسنا وكيف تحوَّلنا إلى مسوخ وإقصائيين لأقصى درجة، من يتفق معنا في آرائنا يصبح جميلًا واعيًا، ومن يختلف يصبح عدوًّا ننقلب عليه ويصير فجأة شيطانًا مريدًا يجب إحراقه وتلاوة المعوذتين عند رؤيته.

كان هناك أمل كبير في أن ينتهي كل ذلك بمصارحة ومصالحة لم تحدث وغالبًا لن تحدث، رغم أن هذا ضروري كما تقول تجارب الثورات والفترات الانتقالية الحديثة في تاريخ الشعوب، لكن الأمر الآن وصل مرحلة اللارجعة، ولم نتعلَّم للأسف الشديد من تجارب غيرنا، ولا حتى من تجاربنا طيلة أكثر من عامين بعد ثورة تفاءلنا بها، وظننا أن معها عصا سحرية ستقلب اليابس خضارًا لكنها الآن مدعاة سخرية الآخرين مِنا، ولا تسافر إلى بلد آخر إلا وتجد أهل هذا البلد يسألونك مستنكرين: ماذا فعلتم بأنفسكم؟!

هذا ليس مقالًا يائسًا أو جالدًا للذات بقدر ما هو مرآة أدعوك للوقوف أمامها، وللهدوء حين تقيّم غيرك لأن اللي بيته من إزاز ما يحدِّفش الناس بالثورة.

عشرون سببًا للتفاؤل

هذا هو الموعد اليومي الذي يتصل بي فيه أصدقائي من الجريدة ليؤكدوا أن المقال تأخَّر كثيرًا. أكتب دائمًا في آخر وقت، إما لأن الفكرة تراوغني، ولا أستطيع الإمساك بها، أو لأن الأفكار كثيرة جدًّا وتجري في كل اتجاه مثل قوافل النمل التي أسأل أمي عنها فتقول: ده حسد على فكرة!!!

وفي أوقات القرف والوجع والملل لا أجد الفكرة أصلًا. لا أشعر بأدنى رغبة في الكتابة، ولا في القراءة، ولعلَّك تعرف حالة (القريفة) التي تجتاحك لتشعر أنك لا تريد أن تفعل أي شيء، سوى الجلوس وحيدًا والتحديق في سقف غرفتك والتفكير في اللاشيء، بعيدًا عن الصراعات والخلافات والخناقات والحسابات والأقساط!!!

أنا الآن في حالة مختلفة أشعر من خلالها أن (الوضع) الراهن يفرض عليك ككاتب أن تكتب في نفس الموضوعات، وأن تعيد وتزيد في نفس الأفكار، وأن تتحدَّث عن نفس الأشخاص.

واقع يفرض عليك نفسه فيضطرك للحديث فيما لا تحب، وكتابة ما لا تريد كتابته الآن، لكن ها هو التليفون يؤكِّد أن المقال قد تأخَّر للمرَّة المليون، وأنا تقريبًا الوحيد الذي أنال سباب ولعنات زملائي في الجريدة لأنني أكثر من يعطلهم.

لا حاجة لي اليوم في كتابة ما تريد أنت قراءته، وما يفرضه الواقع.. أنا اليوم في حاجة إلى جرعة تفاؤل، تأمُّل، حُلم، سعادة، وبهجة، في مزيج

يؤلمك إدمانه لأنك ستبحث عنه ولن تجده، سوى بالصدفة حين يرضى عنك أطفالك فيبتسمون لك، لأنهم يريدون أن يبتسموا وليس لأنهم يريدون اللعب على الآيباد أو مشاهدة قناة براعم، وتربُت عليك زوجتك لأنها تشعر بتعبك وليس لأنها تذكِّرك بأنك لا تساعدها في مهام المنزل بينما كان الرسول يساعد أهل بيته، ويتصل بك أصدقاؤك ليطمئنوا عليك لا ليطلبوا منك مصلحة.

سأكتب عن التفاؤل.. عشرون سببًا للتفاؤل لم أعرفها حين كتبت العنوان، ولا أعرف لماذا اخترت هذا الرقم لكن أعرف أنك ستساعدني حين تفكِّر في الأشياء الجميلة التي تدعوك للتفاؤل، وتساعدني على إنهاء المقال.

هذه أسبابي العشرين للتفاؤل:

(1) ربنا موجود.. ألا يكفي ذلك لتتفاءل.. يمكنك أصلًا ألا تكمل القراءة بعد هذا السبب الكافي.

(2) أنت إنسان يملك عقلًا.. حتى لو ألغيته وأعطيته إجازة، يظَلّ موجودًا ويميّزك عن آخرين.

(3) أنت الآن أفضل من أعوام مضت.. كبرت.. اكتسبت خبرة حتى لو كانت تؤلمك.. تعلمت حتمًا شيئًا جديدًا.

(4) صرت أكثر قبولًا لكل الاحتمالات، لأنك تعلم أن كل الخيارات مفتوحة، وبالتالي لن يزعجك أن يتحقق الأسوأ؛ لأنك توقعته من قبل!!

(5) أنت تقرأني الآن.. أنت تقرأ أصلًا.. هذا سبب أدعى للتفاؤل.

(6) صرت تنظر أمامك في أمل، وخلفك في غضب وسخط.. تهانيٌّ.. أنت تريد التغيير، وهذا شيء يجعلك متفائلًا.

(7) لم تعد تخاف من الموت كما كنت في السابق.. صار صديقك الذي يمكن مقابلته في أي مظاهرة أو شارع!!

(8) ما زلت قادرًا على الحب.. تبحث دومًا عمن تحب سواء كان حبيبًا أو صديقًا أو كائنًا حيًّا!!

(9) أنت قادر على اتخاذ قراراتك بنفسك وتحمُّلها.. مهما أثَّر عليك الآخرون.

(10) تريد مساعدة الناس، وتريد تقدُّم بلدك أيًا كانت الطريقة.

والآن سامحني.. جاء دورك في كتابة ما تريد في قلب المقال لو كنت تقرأه في الجريدة واشتريتها من البائع، أو في تعليقات القراء لو كنت من هواة أبوبلاش وتقرأها على بوابة «الوطن» الإلكترونية.. فهل تساعدني في كتابة باقي الأسباب لأنني تأخَّرت كثيرًا في إرسال المقال؟

(11)

(12)

(13)

14)

(15)

(16)

(17)

(18)

(19)

(20)

أخيرًا.. الحياة مستمرة.. وكل ليل من بعده نهار جميل.. تفاءلوا بالخير تجدوه.

مصر في التلاجة
(من كتالوج حُكّام مصر)

(1)

مصر 1971

اهتزَّ جسد السادات بشِدة وهو ينتحب، واقفًا مع عدد من الضباط الأحرار ومعهم محمد حسنين هيكل أمام جثمان جمال عبدالناصر.

صحيح لم يشاهد أحد دموعه، لكن يمكن أن تتوقعها وهو يقول: إهيء إهيء.. هتوحشنا أوي يا جمال.

ثم مسح دمعة لم يرَها أحد وهو يلتفت لهيكل الذي قال له: مش وقت دموع.. مصر محتاجانا دلوقت. خرجوا جميعًا من الغرفة ولم يلتفتوا لرجل المخابرات الذي همسَ لرئيسه: كله تمام يا فندم. ألقى الرجل نظرة أخيرة على جمال عبدالناصر وهو يقول: خلي بالك من نفسك يا ريس!!

(2)

مصر 2013

أحد الشوارع

كان من الصعب أن يخترق رجل المخابرات زفة التكاتك التي راحت تتمايل على أنغام أوكا وأورتيجا: «علشان البط.. ترا رام ترااا رام.. يموت الوز»!! وكان من الممكن أن يتم تثبيته في أي لحظة لولا العناية الإلهية التي أوصلته أخيرًا لسرداب بانَ للوهلة الأولى أنه تابع لإدارة مجاري العاصمة،

إلا أنه دامس على نقطة بعينها في الحائط ليتحرك ويبدو خلفه مصعد، وهو يهمس لنفسه: يا سلام.. ده ولا فيلم مافيا. وحين وصلَ للمكان الذي يريده أخرج حقنة، وفتح تابوتًا غريب الشكل يتمدد داخله جسد ضخم، قبل أن يحقنه بعقار غريب تلوَّن معه الجسد من جديد وراح صاحبه يتمتم: آااه.. مصر.. الوحدة العربية.. أنور يا ابن اللذينه!!!.. آااه.. إنت فين يا حكيم، وحين فتحَ عينيه وجد أمامه رجل المخابرات وهو يؤدي له التحيَّة قائلًا: حمد الله ع السلامة يا ريس.. حمد الله ع السلامة يا جمال!!!

(3)

بصعوبة قفزَ جمال عبدالناصر على الطوب الذي وضعه البعض بسبب انفجار ماسورة المجاري، وخلفه رجل المخابرات الذي كان يلهث وهو يقول: ماكانش فيه قدامنا حل غير كده يا جمال. إحنا جمّدناك عشان احتجناك للحظة تاريخية زي دي.. البلد باظت يا جمال.

قذف أحد العيال بطوبة وسط مياه المجاري، فطرطشت على ملابسهما وصرخ عبدالناصر: ياض يا ابن الـ.. اعتقلوا ابن الـ..

أكمل الرجل: عملوا ثورة على حسني بتاع كلية الطيران اللي انت عيّنته قبل ما تتجمد، وشالوه، والقذافي اتقتل في ليبيا والأمريكان ظبطوا أمورهم في مصر و...

قاطعه عبدالناصر: وأم كلثوم.. طمني على أم كلثوم.

قال له الرجل: دلوقت فيه سما المصري يا فندم. ابتسم عبدالناصر وهو يقول: واضح إنها بنت معتزة بوطنيتها جدًا.. والله وعرفت تربي الشعب يا

جمال، ثم التفت للرجل وهو يقول: ومين دلوقت ماشي على نهجي؟ ومين معارض؟ ومين بيحكم أصلًا؟ تنحنح الرجل وهو يقول بتحفُّز: حمدين صبَّاحي يا فندم. نظر له جمال بدهشة: حمدين.. فكّتوني باتنين حمدي، وكمان صباحي.. إيه الأسماء الغريبة دي؟ ده إحنا كان أغرب اسم عندنا السباعي.

همس الرجل لنفسه: أومال لو قلت له البرادعي! نظر له جمال: بتقول حاجة؟ فردَّ: لا يا ريس ولا حاجة.

-يعني ضحكوا عليًا ف الآخر بفيلمين عنّي، ومحطة مترو ونسيوا الراجل اللى علمهم الكرامة، بس إنت ما قلتليش.. مين بقى بيحكم البلد دلوقت.

-أنا بقول حضرتك تريّح لك يومين الأول عشان تستريح.

كرَّر جمال: مين بيحكم مصر دلوقت؟؟ مين زعيم الوطن العربي؟؟ مين اللي شايل على كتافه حضارة 7000 سنة.

همسَ الرجل وصوته متحشرج: الـ.. وان..

نظرَ له جمال بدهشة: النسوان إزاي يعني؟

قال الرجل: الإخواااااان.

توقف جمال عبدالناصر ثم صفعه على وجهه وهو يقول: الإخوان؟ نهار أبوكو إسود، أنا رجعتلكم يا بقر.

(4)

قصر الرئاسة

دخلَ السفير رفاعة الطهطاوي مكتب الرئيس مرسي الذي فرغ من صلاته للتو، وقال له في احترام: تقبّل الله يا ريس. ردَّ مرسي: مِنًّا ومنكم يا رفاعة.. ما صليتش الضهر ليه؟؟ قال السفير: صليته يا فندم. قال مرسي: اوعى تكون ماصليتهوش يا رفاعة ما تخليش ربنا يغضب علينا. ردَّ السفير: يا فندم صليته مع ياسر علي وأحمد عبدالعاطي. غضب الرئيس: طب ماقلتوليش ليه يا أخي كنا صليناه جماعة بدل ما أنا صليت لوحدي كده. همس الطهطاوى: ما هو سيادتك صليته جماعة من شوية يا فندم في المسجد و.. قاطعه مرسي: وماله يا أخي.. نصلي تاني وتالت.. واحنا ضمنا الأولانية اتقبلت أصلًا والا لأ.. يلا روحوا حضّروا السجادة نصليها سوا المرّة دي.

قال الطهطاوى أيوه بس فيه تقرير خطير لازم حضرتك تشوفه و..

قاطعه مرسي ثانية: لا خير في عمل يلهي عن الصلاة يا طهطاوي.. يلا روح هاتلي ياسر وعبدالعاطي وشوف الحراسة صلوا والا لأ.. وشوف تقرير المخابرات عن الراجل صاحب الكشك اللي قدامنا لحسَن يكون بيصلي كده وكده و..

قاطعه الطهطاوي هذه المرّة وهو يقول: يا فندم الوضع خطير.. التقرير ده لازم تبص عليه.

نظر مرسي للتقرير الذي حمل عبارة سري للغاية وانتصف صفحته عنوان: عمليات التجميد الرئاسية، ثم قال للطهطاوي في دهشة: تجميد إيه يا طهطاوي؟ مالي أنا ومال المطبخ؟ ما تجمدوا والا تجففوا والا حتى تخللوا.. مال الريس ومال التجميد..

تبدَّلت لهجة الطهطاوي إلى التوسُّل هذه المرَّة وهو يقول: أبوس إيد سعادتك اقراه الأول.

شعر مرسي لأول مرَّة بالقلق، فنظر على التقرير، وتصفحه سريعًا ووجهه يمتقع بشدة، قبل أن يقول: يا نهار مدوحس..

يعني عبدالناصر متجمد وعايش، ومش بعيد السادات راخر هو ومحمد نجيب يكونوا متجمدين وعايشين، واحنا ما صدقنا خلصنا من مبارك.. دي مصيبة يا طهطاوي.. عارف دول لو صحيوا أول حاجة هيعملوها إيه؟

-إيه يا ريس؟

-هيطالبوا بمحطات المترو بتاعتهم طبعًا وتبقى سنة سوخة.

-أيوه بس..

-وتبقى مصيبة ليظهر أحمد عرابي وسعد زغلول ويطلعوا متجمدين راخرين ويطالبوا بمحطاتهم، وكده يبقى.. يبقى.. يبقى....

-يبقى إيه يا ريس؟

-كده يبقى خط حلوان المرج اتضرب يا طهطاوي.. أجيب منين أنا؟

كان ينوي أن يكمِّل كلامه لولا أن تحرَّك الحائط وراءه فجأة وفُتِح باب سري فيه، ليدلف منه جمال عبدالناصر الذي وجده مرسي أمامه فجأة فرفع يده وهو يقول: تحيا جمهورية مصر العربية.

جرى الطهطاوي مسرعًا للخارج، وهو يهتف: تحيا الجمهورية العربية المتحدة.. يا ياسر.. تحيا الجمهورية العربية المتحدة.. يا عبدالعاااطي.

وضع عبدالناصر يده على كتف مرسي المرتجف قائلًا: إزيك يا مرسي.. بلغني إنك قلت «وما أدراك ما الستينات».. إنت كان عندك كام سنة وقتها يا ابني؟

فرغ مرسي من قراءة كل ما يحفظه من قرآن وهو يقول: 15 سنة يا ريس.

ابتسم عبدالناصر: كنت لسه ما طلّعتش بطاقة يعني.. خلاص.. هفوتهالك المرّة دي، ثم نظر في عينه مباشرة وهو يقول: عملت إيه ف البلد يا مرسي؟

تراجع مرسي للخلف وهو يقول: عملت خير.. كل خير يا ريس.. ده أنا كنت مستلمها خرابة، وكانت مراجيح كلها بس ربنا ستر.

-بأمارة إن مصر قرّبت تشحت يا مرسي، ولا الإسلاميين اللي ماسكين البلد وبيخربوها ولا الجماعة اللي بتعملوا خطة تمكينها؟

-يا ريس إنت هتقول كلام المعارضة إنت كمان؟

-ولا معارضة ولا أهلي وعشيرتي ولا حارة مزنوقة.. إنت بتحب بلدك ولا لأ؟

-بحبها؟؟ دي لو كانت ست كنت اتجوزتها على سُنّة الله ورسوله.

-لا يا مرسي.. إنت هتطلقها، وتخدمها، وتاخد دورك في الخدمة الوطنية وتتجمد لك كام سنة، ولو احتجناك هنصحيك كمان خمسين ستين سنة كده ولا حاجة.. البلد دي محتاجاني دلوقت و..

فجأة تحرّك جدار آخر ودلف منه السادات ممسكًا بغليونه الشهير وهو يقول: آآآ.. لحظة يا إخوانًا... آآآ.. أنا أولى بالبلد دلوقت يا جمال.

قال عبدالناصر باستنكار: جمال؟؟؟

تراجع السادات: قصدي يا ريس.. أنا اللي حاربت إسرائيل ورجُعت سيناء ولما زهقت من التنظيمات الإسلامية قلت آخد لي إجازة واتجمد لي كام سنة، وآديني رجعت.

نقل مرسي بصره بينهما في فزع وهو يقول: يعني عايزين إيه دلوقت؟

قالا في صوتٍ واحد: تسيب البلد.

تمالك مرسي نفسه هذه المرَّة وهو يصرخ ويدبدب بقدمه في الأرض مثل الأطفال: بس أنا رئيس منتخب.. أنا الشعب اختارني إنما إنتوا لأ.. أنا جيت بانتخابات حُرَّة ونزيهة إنما إنتوا لأ.. أنا ما سجنتش حد لغاية دلوقت ومدّي الناس براحها تعبّر عن نفسها وتشتمني شخصيًا إنما إنتوا لأ.. أنا عندي جماعة وعشيرة إنما انتوا لأ.

قاطعه السادات: كمّل كمِّل.. قول إن فيه ناس اتقتلت على باب قصرك إنما إحنا لأ.. قول إن كلمتك مش من دماغك إنما إحنا لأ.. وإنك لازم تراجع المرشد وخيرت إنما احنا لأ.. قول كمان يا ولد واخطب فينا بالمرَّة ما هو ده تمامك.

دبَّ مرسي بقدمه على الأرض وهو يقول: أنا ماليش دعوة بالكلام ده.. أنا دخلت هنا ومش هخرج إلا لما الشعب يخرّجني أو..

قاطعه عبدالناصر هذه المرَّة وهو يقول: أو تتجمد.. إنت لازم تخش التلاجة يا مرسي.. عشان مصر ما تضيعش.

صرخ مرسي: مصر مش هتضيع.. مصر مش هتضيع مصر مش هتضيع.. مصر مش هتضيع.

نظر له الجميع بدهشة.. كانوا قد اعتادوا منه تكرار بعض الجمل، لكن ليس لدرجة أربع مرّات في الدقيقة، قال له ياسر علي: مش هتضيع إن شاء الله يا فندم.

نظر له مرسي بدهشة، ونظر لجميع مستشاريه ومساعديه المحيطين به وهو يبسمل ويحوقل، فقال له رفاعة الطهطاوى: فضيلة المرشد كلمني النهارده وقال لي إن سعادتك محتاج تترِقي.. عايزين نرقيك يا فندم رُقية شرعية.. الباشمهندس خيرت جاي عشان كده النهارده إن شاء الله.

صرخ مرسي فيهم جميعًا فجأة: أنا مش عايز حد يرقيني.. أنا عايزكم تشتغلوا عشان ما نخليش حد يشمت فينا.. البلد دي مش هتضيع.

التفت لرجل غامض يجلس بجواره وهو يقول: إيه آخر أخبار أبحاث التجميد؟

قال له الرجل: بخير يا فندم.. شغالين عليها كويس.

لمعت عين مرسي وهو يقول: شوفوا إيه إمكانية إننا نجمد 90 مليون مرّة واحدة ونحطهم في التلاجة.

رفع الرجل يده مؤديًا التحيَّة: تمام يا فندم.. وهنسمي العملية دي «مصر في التلاجة».

ابتسم مرسي مطمئنًا..

وقام ليصلي الظهر.

خرابة حبي أنا

(عملية سرية لم تقدم على الشاشة بعد)

«طلعت» عميل سري في جهاز أمني حساس، يرتدي ملابس العملاء السريين يدخل من بوابة مكتوب عليها «مدخل العملاء السريين» ويواجه البواب.

«طلعت» ينظر حوله في تحفُّز قبل أن يقول للبواب:

-أنا العميل السري «طلعت».

-إيه اللي يثبت؟

-الفيل ف المنديل.

-الهيء ف البُربيء.

-المورتة ف قعر الحلة.

-نور الشريف ف العار.

-أبوتريكة.

-بلهجة معلقي الكرة وجوووووون... (يستعيد صرامته): تقدر تتفضل بس سيب شريحة تليفونك.

-شكرًا يا راجل يا ذوق (يهم بالدخول ثم سرعان ما يعود أدراجه وهو يواجه البواب في شك) مين حضرتك بقى بالمناسبة؟

-أنا البواب.

-في شك: طب إيه اللى يثبت

-وحياة أمك أنا البواب.

-خلاص.. طالما حلفت بالغالية.

قطع

في غرفة المدير.. أكياس قمامة حول المكتب في كل مكان و«طلعت» يقف أمام المكتب بينما يجلس المدير مرتديًا كمامة.

طلعت: تمام سعادتك يافندم.

المدير (مشيرًا للزبالة): تعرف تقولي إيه دي؟

-زبالة يافندم.

ردَّ المدير بغضب: احترم نفسك يا بني آدم.. يشير له من جديد: إيييه دي؟

قال طلعت مُقلِّدًا نفس إشارته: زبالة يافندم.

المدير: قلت لك احترم نفسك.. الزبالة دي تبقسسى...

-احترم نفسك يافندم.

-ما علينا.. الزبالة دي بقت مخلية منظر البلد وحِش يا طلعت.. مصر مشهورة دلوقتي بخوفو وخفرع ومنقرع والزبالة.

-قال طلعت بخبث:

-وأبوتريكة يافندم.

ردَّ المدير بنفاد صبر:

-وأبوتريكة.

قال طلعت بشماتة:

-وماتش الستة واحد يافندم اللي اتقطعتوا فيه.

ردَّ المدير بغضب:

-قلت لك احترم نفسك.. الزبالة دي خلِّت سمعة مصر وحشة في المحافل الدولية، وإذا كانت عفاف راضي بتقول مصر هي أمي (بانكسار وهو يمسك في بنطلون طلعت) ترضى سمعة امك تبقى وحشة في المحافل الدولية؟

-أمي ماتت يافندم.

-طب سمعة أختك الصغيرة.

-ما عنديش اخوات بنات يا باشا.

-ترضى أي واحدة محترمة في عيلتك سمعتها تبقى وحشة؟

-أنا مقطوع من شجرة أساسًا، وعندي صابع مدوحس ومقدِّم على علاج على نفقة الدولة و...

يقاطعه:

-خلاص خلاص.. اعتبره أمر يا بني آدم.. مشكلة الزبالة في البلد لازم تحلها.

-(Voice over): أنا؟ ده أنا راجل زبالة أصلًا.

-بلهجة مؤثرة وهو يهزه من كتفه:

-زبالة البلد أمانة في رقبتك يا رأفت... قصدي يا طلعت.

-يخبط على رقبته بحماس شديد:

-وانا رقبتي سدادة.

قطع

طلعت يجلس على رأس مائدة اجتماعات وفي الخلفية مكتوب «لجنة النظافة من الإيمان».

-طلعت: إحنا عاوزين حلول مبتكرة..كل واحد يتخيّل سمعة أمه في خطر عشان يقدم لنا حل جامد يرجع سمعة مامته كويسة.

-«أحد الحاضرين»: يا طلعت بيه، أنا بقترح اننا نحوّل الموضوع لرياضة طالما إن الناس بتحب الرياضة.

طلعت: ازاي يعني؟

قطع

*طابور طويل يقف فيه ناس كثيرون يحمل كل منهم كيس زبالة كبيرًا وأمامهم صندوق قمامة على بعد مسافة متوسطة.

-«ص. الرجل»: إحنا زي ما عندنا رياضة رمي الجلة في ألعاب القوى، نخترع رياضة جديدة هي رمي الزبالة في الصناديق بتاعتها.

*أشخاص يرتدون زيًا رياضيًا موحدًا يحملون أكياس الزبالة وكأنهم في مباراة.

«ص. الرجل مكمِّلًا كلامه»: ونعملها أولمبياد وبطولات وكاس تتسمى كاس الزبالة أو دوري الخرابات الممتاز.

*طلعت مرتديًا زي زبّالين وممسكًا بصافرة الحُكّام.

«ص. الرجل»: وطبعًا هنستفيد من الزبّالين بإننا نعيّنهم حكام.

*طلعت يصفِّر فيرتطم بوجهه بعدها كيس زبالة.

قطع

*طلعت في الاجتماع يتراجع وجهه للوراء وكأن الكيس ارتطم به بالفعل.

طلعت: فكرة زبالة، افرض يا أستاذ طلعت اللعيبة خايبانين زي لعيبة الكورة والأكياس اتقطعت منهم وهما بيرموها.. همشي أنا بقى ألم وراهم زبالتهم؟ وبعدين افرض وصلنا للنهائي هندعي كبار المسئولين ييجوا يحضروا ازاي واحنا ما نضمنش كيس يلبس في خلقتهم من رمية غلط؟ لا لا لا لاااااا.. عاوزين فكرة تانية.

شخص آخر: أنا عندي وسيلة مبتكرة يافندم، كنا اقترحناها من فترة بس ما كانش فيه ميزانية.

طلعت: قول عليها واحنا هننفِّذها فورًا.

قطع

طلعت في مؤتمر صحفي..

طلعت: عشان كده لجنة «النظافة من الإيمان» بتعلن عن مناقصة لتوريد 30 ألف خنزير دكر بالمواصفات التالية:

أولًا: إنه يكون خنزير طفِس وكيف زبالة.

ثانيًا: إنه يكون خنزير صايع مش مرتبط بأي عقود عمل تانية، لأننا هنمضّيه حضور وانصراف وهنعرف لو بيضحك علينا.

ثالثًا: إنه يكون أعزب وغير مرتبط، والعطاءات يا سادة هتتقدم بصور فيس ومناخير.. وتحيا مصر.

قطع

طلعت على مكتبه يأكل من علبة كشري وأمامه أحد الموظفين الذي يُقدِّم له أوراقًا ليعتمدها.

طلعت: إيه ده؟

الموظف: هي سعادتك مشكلة بسيطة بس لقينالها حل.. الخنازير قضت على الزبالة بتاعة المواطنين فعلًا.

طلعت: هايل.

الموظف: بس للأسف وسَّخِت الشوارع بالفضلات بتاعتها.

طلعت يكمّل علبة الكشرى ويتحدَّث بلا مبالاة:

-يا نهار اسود.. وإيه العمل؟

الموظف: سعادتك فيه كادليز للخنازير ممكن نبعت نستورده وش هيكلفنا ملايين.. وناس ممكن نشغلها تلبس وتقلع البامبرز ده للخنازير، وبكده نبقى خلقنا فُرص عمل في ظل توجيهات السيد الفاضل الـ..

طلعت: انجز وخليني أطفح.. احنا مش في صباح الخير يا مصر.

قطع

يكتب على الشاشة «وبعد أقل من شهر..»

نفس الموظف يدخل على طلعت منفعلًا وهو يتحدّث في لوعة:

-الحق يا طلعت باشا.. الخنازير كلها جابت جاز ووقعت من طولها.

طلعت: يا فضيحتك يامه.

قطع

فوتو مونتاج لطلعت أمام غرفة عمليات في عيادة بيطرية وهو في قمة توتره يروح ويجيء ويفكُّ أزرار قميصه من الخنقة وقد نما ذقنه مع خلفية أغنية «سيد الحبايب يا ضنايا إنت» التي تخفت تدريجيًا مع خروج طبيب من الغرفة.

الطبيب: الخنازير دي أكلت أكلة دسمة.

طلعت: لا والله يا باشمهندس كله نيّ في ني.

الطبيب: الظاهر إن الزبالة بتاعتكم تقيلة على معدتهم.. شوفولهم زبالة نضيفة.

طلعت: نعم يا دلعدى؟ زبالة نضيفة؟

*لقطات سريعة فوتو مونتاج للطبيب وطلعت يتجادلان، ثم يتشاجران ويشرع طلعت في خلع ملابسه وكأنه في خناقة بحيّ شعبيّ وصوت تعليق بألي في الخلفية مع نهاية المشهد.

س. تعليق: وكان لازم نلاقي حل تاني.

إظلام

نفس المسئولين مجتمعين وعلى رأس مائدة الاجتماعات طلعت، وقد وُضِعَت خلفه لافتة مكتوب عليها «لجنة الزبالة من الإحسان».

مسئول: إحنا بدل ما نتخلص من الزبالة ممكن نعيد تدويرها ونبني مصانع تحوللنا الزبالة دي لأسمدة.

طلعت: يااااه.. فكرتني بحصة أبلة نادية بتاعة العلوم.. كانت جامدة.

المسئول: هي مين اللي كانت جامدة.. أبلة نادية؟

طلعت: أومال العلوم؟

قطع

طلعت في مؤتمر صحفي..

طلعت: تعلن لجنة «الزبالة من الإحسان» عن حاجتها لكل زبالة الشعب لإعادة تدويرها واستخدامها من جديد.. ويراعى أن تكون الزبالة خالية من أي أزواج أو لعيبة كورة أو حاجات تبوظ مكن المصنع، وليتأكد الشعب المصري أن زبالته في أيد أمينة.

قطع

نفس الموظف وش النحس يدخل على طلعت في مكتبه.

الموظف: الحق يا باشا.. بعد ما بنينا المصنع وجبنا المكن مش لاقيين زبالة.

طلعت: يا نهار اسود.. الزبالة راحت فين؟ دي ما كانش فيه أكتر منها.

الموظف: السوق السودا دخلت في اللعبة والناس بقت تخبي زبالتها ويسقعوها لحد ما سعرها يغلى ويروحو بايعينها.

طلعت: خيااااناااااا.

قطع

سيدتان تتشاجران على كيس زبالة.

سيدة 1: الزبالة دي بتاعتنا يا ولية.

سيدة 2: لا يا اختي انتوا نضاف طول عمركم.. الزبالة دي بتاعتنا إحنا.

سيدة 1: اخرسي قطع لسانك.. أهو انتو اللي نضاف و60 نضاف.

قطع

مشجعين كورة يمسكون بأكياس زبالة وهم يهتفون:

زبالتي يا حبي.. هي.. آهااااااه.

يا حتة من قلبي.. هي.. آهااااااه.

قطع

طلعت في هيئة مزرية داخل مكتب مدير العملاء السريين الذي كلّفه بالعملية.

طلعت: أنا آسف يا باشا.. يظهر ان البلد هتتجرّس في المحافل الدولية.

المدير: بالعكس يا طلعت.. انت قدِّمت خدمة جليلة للبلد.

طلعت: بس ده مفيش زبالة نشغل بيها المصنع.

المدير: وهو ده هدف المهمة من الأول.. إن يبقى مفيش زبالة في الشوارع.

طلعت: طب وفلوس المصنع.

المدير: فداء ضفرك يا مصر.

طلعت: يعني البلد مش هتتجرس؟

المدير: ولا حد هيلمس شعراية منها.. وعشان كده احنا هنكرّمك ونديلك وسام الزبالة من الدرجة الأولى.

يحضر صفيحة زبالة كبيرة ويلبسها لطلعت ف دماغه مع موسيقى حماسية.

انتهى.

عبد الصبور ف الطابور

عبد الصبور مواطن مصري بسيط تبدو عليه ملامح الفقر والبؤس والشقاء.. يقف أمام زوجته وابنه الصغير.

الزوجة: خلاص نويت يا عبد الصبور؟

عبده: أمر الله يا باتعة.. يعني نموت م الجوع، مش كفاية مش لاقيين الغموس، كمان ما ناكلش عيش.

الزوجة: طب ما انا ممكن اشحت رغيفين من ام احمد اللي فوقينا.

عبده: ما انتي عارفة الرغيفين بياخدوهم آخر الشهر قفص، وده يبقى ربا يا باتعة ولعياذ بالله، وانا عمري ما آكلكم من حرام يا باتعة.

الزوجة: و هتغيب يا عبده؟

عبده: أنا وحظي بقى يا باتعة.. ما انتي عارفة آخر مرّة رحت فيها قعدت 3 ايام ولما جه الدور عليا قالولي خد دقيقك واخبزه بمعرفتك، ولما وافقت قالولي الدقيق خِلِص.

الزوجة: خلي بالك من نفسك يا عبده.. وعلى رأي المثل.. طابور العيش غدّارو أسهل منه الكوي بالنار.

عبده: وانا يا باتعة مش حمار.

الزوجة: العفو يا عبده.. ده انت جبار.

الطفل: احكيلنا يا بابا حكاية التعلب المكّار مع المنشار اللي طار.

عبده بتأفف: خلاص خلاص.. إيه جو ألف ليلة وليلة ده ..(ثم ينظر لباتعة نظرة وداع): الوداع يا باتعة.

باتعة: الوداع يا عبده.. ما تضيعش نفسك في الطابور.. كفاية 5 ارغفة المرة دي ومش لازم يكون مفقّع..الوداع يا عبده.

يهم الانصراف مع موسيقى حزينة مؤثرة

باتعة: عبده..

يلتفت ناظرًا إليها في تساؤل فتردف: لا إله إلا الله

عبده: محمد رسول الله... واحتياطي يا باتعة انتي طالق عشان لو اتأخرت في الطابور تعرفي تشوفي حالك

قطع

عبد الصبور عند أول طابور عيش طويل جدًا ويسأل أحد الواقفين:

-هو آخر الطابور فين يا كابتن لو سمحت؟

الشخص: احجز في قطر النوم بتاع أسوان واسأل على شارع المحطة هتلاقيه هناك.. بس الحق بسرعة قبل ما الطابور يعدي الحدود وتحتاج تأشيرة عشان تقف فيه.

عبد الصبور يهم بالانصراف مغمغمًا لنفسه: الحمد لله.. لهنا نصيب نشتري العيش قبل ما نموت.

الرجل يناديه ثانية: بقولك ايه يا عم.. استنى.

عبده: خير.

الرجل يصفعه على قفاه بقسوة وسط خناقات نراها في الخلفية على غرار فيلم الفتوة لفريد شوقي.

عبده(مغتاظًا): إيه اللي عملته ده يا ابن الفرطوس؟

الرجل: هأأو... ده ختم الطابور يا غشيم.

- عبده يتراجع للخلف مارًا بباقي الطابور وهو يمسك قفاه و الناس من حوله تضحك عليه ويرمونه بنظراتهم الساخرة، مع استمرار الخناقات في الخلفية و كأنها شيء روتيني للغاية.
- عبده يمرُّ في رحلته في الطابور بشاب يقف مع زوجته الشابة التي تبدو عليها أعراض الحمل.

الشاب: فاكرة يا «رانده» لما قابلنا بعض أول مرّة في الطابور ده؟

رانده: يااااه يا سامح.. كأن الكلام ده لسة حاصل امبارح.

سامح مسبّلًا في عينيه متنحنحًا في أسلوب كلامه ماسكًا بأناملها في هيام: اتقابلنا واحنا رايحين الطابور.. حبينا بعض ف آخر الطابور، واتجوزنا ف نص الطابور واديكي شايلة ثمرة حبنا ف بطنك واحنا لسة ما وصلناش أول الطابور.

عبد الصبور (محدثًا نفسه): مش كنت جبتك معايا يا باتعة وعملنا اللي ما بنعرفش نعمله م العيال ودوشتهم.

رانده: تفتكر يا سامح امك هتسيب حبنا يعيش؟

سامح: ما تقلقيش يا حبيبتي..احنا فين وهي فين.. أمي زمانها لسه ف آخر الطابور.

رانده بتوجُع وهي تمسك بطنها: آاااااي.

سامح: مالك يا حبيبتي؟ إوعي تكوني هتولدي دلوقت؟

رانده: ما تقلقش يا حبيبي.. الدكتورة قايلالي لسة قُدّامِك شهر نكون وصلنا فيه لأول الطابور إن شاء الله واشترينا العيش.

عبد الصبور: ربنا ينتعك بالسلامة يا بنتي.

- صوت صراخ رقيع يأتي من الخلف ويجعل عبد الصبور يتراجع إلى الوراء أكثر و أكثر، حتى نجد شابًا فافي جدًّا يتمايل بطريقة رقيعة وهعو يرتدي الأنسيال و المسلسلة واللبانة في فمه.

الفافي: يا ميلة بختك يا أنا.. ياللي اتخدعت كتير يا أنا.

عبده: مالك يا ابني.. حد عملك حاجة؟

الفافي: يا ريت كان حد عمل يا أونكل.

- أومال فيه إيه بس؟

- أفندي محترم اديته ثقتي ووقفته ورايا في الطابور واعتبرته شخص يعتمد عليه، يروح سارق المحفظة من جيبي الوراني يرضيك يا أونكل؟

- لأ طبعًا ما يرضنيش.. وانت يا ابني ما حسّتش بيه وهو بياخدها من جيبك الوراني؟

- بالعكس حسيت بيه طبعًا.

- أومال ليه ما منعتوش؟

- ما انا ما افتكرتوش حرامي.

- اخص الله يكسفك.. تستاهل اللي حصلك.

- أنا اسمي رامي، يضع يديه عليه: وانت اسمك إيه بأه؟

عبد الصبور ينزع يده ويجري مبتعدًا عنه في فزع قائلًا:

-إوعى يا عم.. ما تشبهنيش.

- عبده يمرُّ في الطابور بجانب طالب يجلس على مقعد وأمامه ورقة امتحان، بينما يقف في نفس الطابور ناظرًا إليه شخص يبدو وكأنه مراقب، الطالب ينظر لعبد الصبور ويلوّح له مرحِّبًا.

المراقب: بص قدامك يا ابني بدل ما اسحب ورقتك واعلِّم علها بالاحمر.

عبده(للمراقب مشيرًا للطالب): وده ماله ده راخر؟

المراقب: عنده امتحان ثانوية عامة.

سأل عبده الطالب: طب وانت إيه اللي جابك هنا يا ابني؟

الطالب: أصلي كنت نازل اجيب عيش من ييجي شهرين، واتعطلت في الطابور لغاية معاد الامتحان.

عبده: طب وعملت إيه؟

الطالب: أبدًا.. اشتكيت في برنامج البيض بيضك، وربنا يحميه سيادة الوزير فقس الشكوى... قصدي سمع الشكوى وبعتلي لجنة خاصة.

عبده: مش ممكن.. واللجنة جت بسرعة كدة من غير تعقيدات ولا أي حاجة؟

المراقب: أصل انا كمان كنت بجيب عيش من نفس الطابور وبعتولي التوجهات عن طريق الفرّان.

عبده: والله عمار يا مصر..للطالب: شد حيلك يا ابني..ربنا يوفقك وتجيب مجموع.. ألا قل لي بقى نِفسك تطلع إيه؟

الطالب: ودي عايزة كلام.. فرّان طبعًا.

عبده:ربنا معاك.

- شخص يمرُّ من أمامه حاملًا يافطة مكتوبًا عليها "دقيقة المحمول ب 50 قرش". ويمرُّ في الاتجاه العكسي شخصٌ يحمل دلوًا مليئًا بزجاجات الحاجة الساقعة.

البياع: أيوة بيبس حاجة ساقعة..بيبس.

عبده: بكام القزازة لو سمحت؟

البياع: ب10 ارغفة..!!

عبده: يعني إيه؟؟؟

- يعني ما بنبعش بفلوس.. بنبيع بالعيش.. تجيب 10 ارغفة تاخد الحاجة الساقعة.

- وده من إيه ده؟!

- مش بيقول لك أكل العيش مُر يا حاج.. أهو هو ده المُر، أنا لما نزلت من بلدنا عشان اجيب عيش...

- من بلدكم؟؟

- آه والله.. من بلدنا.. حاكم النسوان حدانا في الكفر اعتزلوا الخبيز عشان يطفِّشوا رجالتهم ويودوهم طوابير العيش.. قوم إيه بقى.. ما عرفتش أجيب ولا رغيف من ساعة ما نزلت، ولا حتى عرفت أول الطابور فين عشان بيقولوا انه مكان سري مش أي حد بيعرفه، فلقينت الحل الوحيد إني اشتغل الشغلانة دي يمكن اطلعلي بلقمة عيش.

- وجبت كام رغيف على كده لحد دلوقت؟

- ولا رغيف.. الناس ناصحين يا حاج، واتعلموا ييجو الطابور بأكلهم وشربهم والحاجة الساقعة بتاعتهم، لحد ما وقفولي حالي.

- عبد الصبور يتركه وينصرف ضاربًا كفًا بكف.

عبده(في أسى): لا حول ولا قوة إلا بالله.. هي الدنيا جرا فيها إيه يا جدعان؟!

- شخص يمرُّ بجواره ماسكًا فمه في ألمٍ وهو يحمل بقايا رغيف.

الشخص: آاااه.. آااااااااه.

عبده: مالك يا عم.. حد يقول آه وف إيده رغيف؟

الشخص(أهتم): أشلي أول ما قطمت قطمة شنتي اتكشرت.. ودي كانت آخر شنة ف شناني يا ابني.

- وده من إيه يا حاج؟

- العيش يا ابني مليان ظلط وخشب ومشامير.

- آاااه.. عشان كده كل الفرانين عندهم عمارات.. ما هم بياخدو الخامات ببلاش بقى.

- آدي شناني كلها راحت يا ابني واديني، مقدم على كرتونة زبادي قل ما يبقى بالطوابير هو راخر.

- مذيعة تظهر فجأة وكأنها نبتت من العدم وتحشر رأسها في الكادر.

المذيعة(للأهتم): نتعرَّف عليك بسرعة.

- أنا...

- بتيجي الطابور ده من أد إيه.. بس بسرعة؟

- من وانا...

الناس تنتبه للتليفزيون فنراهم يزاحمون خلف الرجل، ويلوّحون، وبعضهم يقبِّل الرجل دون أدنى سبب، وعبد الصبور يتابع ما يحدث بدهشة.

- المذيعة: طب باختصار ومن غير لكلكة، لو معاك ظلطتين ومسمارين من اللي بيبقوا في العيش هتكسب معانا فورًا طقم سنان مجاني.

- كان معايا والله بس ولاد الحرام ما خلوش لولاد الحلال زلطة.

- آسفة يا حاج.. مش هتكسب معانا، عشان تتعلم تحافظ على أي حاجة تلاقيها ف رغيف العيش.

الرجل يحاول الكلام بصعوبة: أيوة بش انا.. أشل.. أأ..آآااااه (يشهق بقوة ويقع من طوله على الأرض)..!

المذيعة: وها هو ضحية جديدة من ضحايا برنامجنا أعزائي المشاهدين، ونحب نطمن كل الناس اللي قلقانة من الزيادة السكانية ان احنا هنقوم بالواجب.

عبد الصبور في الخلفية يعدد على الرجل في آداء صامت والناس تجري تتشاجر للوقوف مرّة أخرى داخل الطابور.

قطع

فوتو مونتاج لعبد الصبور وهو على ظهر حمار يمرُّ بجوار الطابور، ثم وهو على دراجة خلف طفل صغير، ثم وهو يزحف على الأرض والطابور بجواره وقد طالت لحيته وتشعث شعره وتقطَّعَت ملابسه، ثم وهو طاعن في السن يقف عند نهاية الطابور في منطقة مقطوعة وهو يكح ويسعل بشدة.

عبده: الحمد لله.. وصلت آخر الطابور.

شاب كبير يأتي ويقف بجواره قائلًا:

- هو ده آخر الطابور يا حاج؟

- هو ان شاء الله يا ابني.

الشاب يسجد سجدة شُكر وهو يردد الحمد لله الحمد لله بمنتهى الفرح، وعبده ينظر إليه من جديد.

عبده: يا ترى أخبار البلد إيه يا ابني.

- زي ما هي يا حاج.. البلاليع مفتوحة، وكابلات الكهربة عريانة، والسحابة السودا ف مكانها، والزمالك لسه بيخسر مهما اشترى لعيبة... حتى ابويا ما رجعش من ساعة ما نزل يجيب عيش.

- انت شكلك مش غريب عليا، انت اسمك إيه يا ابني؟

- اسمي صابر.. صابر عبد الصبور.

عبده يحتضنه بقوة: صاااابر.. ابنييي... حبيبي.. أنا ابوك يا ابن الكلب.

صابر: بابا.. أبويا.. my father يخرب بيت الطابور اللي حرمنا منك.

- عامل إيه يا صابر؟

- الحمد لله يا ابا.. كويس إني لقيتك.. أصل امي لقهت رغيفين كانت نسياهم وممكن نتغدى بيهم دلوقت.

- ياااه.. يعني خلاص.. هروّح.. أنا كنت خلاص خدت على وقفة الطوابير يا ابني.

- أنا فداك يا ابا.. رروح انت وسيبني مكانك.. وان شاء الله الجنة ونعيمها.

- طيب سلام عليكم.

عبده يهم بالانصراف، لكنه يعود أدراجه قائلًا:

-آه صحيح.. بقولك ايه يا صابر..

- خير يا ابا؟

يصفعه على قفاه بقسوة وعلى حين غرة: طرااااخ.

صابر: إيه ده يا ابا؟

عبده: ده ختم الطابور يا ابني.. بإيد ابوك أحسن من إيد الغريب.

ستار...

عيلتي وعيلتك

(مسرحية من فصل واحد)

يدخل العريس والعروسة غرفة نومهما بملابس الفرح، وعلى ملامحهما علامات الغضب الشديد.

العريس: خشي قدامي يا هانم.. أنا غلطان إني وافقت على حكاية البوفيه المفتوح.

العروسة: طبعًا غلطان، لأنك ظهرت أهلك بشكل مش كويس خالص، دول كان ناقص ياكلوني ويغمسوا باللي جابوني.

-يا سلاااام.. بأمارة الأكياس اللي أهلِك جابوها معاهم عشان يلموا اللي كانوا بيخبوه تحت الترابيزات.

-والله لو جيت للحق ده أهون من اللي أنا شفته وأنا برقص مع عبده ابن خالتي.

-إنتي رقصتي مع عبده ابن خالتك من ورايا؟!

-طب ما انت رقصت مع سيدة بنت خالك من قدامي.

-أيوه بس سيدة دي زي أختي الصغيرة.

-ما هو سيد راخر زي أختي الصغيرة.

-بس ده كان خاطبك يا هانم.

-طب ما انت كنت متكلم على سيدة يا بيه.

-مش معنى إني كنت قايل عليها إن كان فيه ما بينا حاجة.

-أومال كنت هتتجوزها ليه؟

-من أجل بقاء النوع ليس أكثر يعني.

-بقاء النوع! ده على أساس إن البشرية هتنقرض لو انت ما اتجوزتش؟

-لأ وانتي الصادقة، على أساس إن فيه بنات كتيرة ممكن تبور لو ما اتجوزناهمش.

-اسم الله، اسم الله يا خويا.. ده انا كانوا بيترمّوا تحت رجلي.

-ما هي المشكلة إن كلكم بتقولوا كده بعد ما بتتجوزوا.. قبل ما بتتجوزوا بتبقوا قاعدين تلعبوا ف صوابع رجليكم، وبتتمنوا أي كلب يعبركم.

-والحمد لله يا حبيبي إنك عبرتني.

-قصدك إن انا كلب؟

-ليه هو انت حاسس بنفسك بتهوهو؟

-أنا أهوهو؟ لأ طبعًا ما بهوهوش.

-خلاص تبقى مش كلب.

-طبعًا مش كلب، ومراتي ما تستجراش تقولي يا كلب، فاهماني.. أنا مش كلب.. أنا مش كاااااااااااااااااااااااااالب.

صوت الجار ينبعث من الخارج: وطي صوتك يا كلب خلينا نعرف ننام.

العروسة تنظر لعريسها وتضحك في سرها.

العريس: بتضحكي على إيه؟

العروسة: أبدًا.

العريس: على فكرة الشتيمة بتلف تلف وترجع لصاحبها.

العروسة: ما انا عشان كدة ما رضتش أرد عليك وانت بتشتم أهلي.

العريس: آاااااه.. أصل.. إيييييه.. إنتي بتقولي إيه؟

العروسة: لأ.. ما تاخدش ف بالك.

العريس: آه، بحسب.. حاكم أنا جِمِش وراجل بالأوي.

يقترب منها ببطء وهو يبتسم ابتسامة ذات مغزى ويهزّ في رأسه ويفرك فيه في شبق.

العريس: هو انتي إيه بقى.. مش ناوية بقى النهارده ولّا إيه؟

العروسة: لأ.. عندي غسيل.

-سيبك من الغسيل.. فيه حاجات أهم من الغسيل.. حاجات تحافظ على بقاء النوع.

-يا سلاااام.. اللي هي إيه بقى؟

-أهاااه.. يعني مش عارفة.. يا صايعة.. منظرك عارفة وبتستعبطي.

-لأ مش عارفة.

-وحياة امك عارفة.

ترد العروسة في غصب: ما تجبش سيرة أمي على لسانك و..

يضع يده على فمها في دلال قائلاً: خلاص خلاص.. ما غلطناش في نادبه الجندي يعني.. وحياة أمي أنا يا ستي.. يلّا خلصي لحسن على آخرى.

-على آخرك في إيه يا قليل الأدب؟

-برضه هتستعبطي

-يا أخي مكسوفة وعايزاك انت اللي تقولها.

-مكسوفة من إيه بس؟! دي الحاجات دي من طقوس الليلة دي.. لازم العريس والعروسة..

-أيوه.ة

-أول ما يروحوا..

-أيوة..

-ويقعدوا يتخانقوا كده زي ما اتخانقنا..

-أيوة يا رخم..

-يروحوا مصالحين بعض.

-طب ما تيلّا تصالحني.

-لأ يا اختي أنا ماليش ف الحاجات دي.

-نعم؟!

-مالي انا ومال الحاجات دي؟ أنا الحاجات دي كانت بتتعملي وانا قاعد في مكاني معزز مكرم.

-يا نهار اسود.. بتتعملك في مكانك فين إن شاء الله؟!

- في البيت.. عادي جدًا..كل الناس الطبيعية كده.

-إنت عملت الحكاية دي كام مرة؟

-يوووووووووووووووووه.. كتير.. ما تعديش.. ده في اليوم الواحد بتاع تلات أربع مرات، على حسب النفس، وكانت كل حاجة على الكنبة.

-على الكنبة! يا بجاحتك!

-بجاحتي ليه؟ لا عمل حاجة غلط ولا حرام.. حتى وانا مشغول ولّا في الشارع ما بيبقاش فيه مانع من حاجة تيك اواي كده تظبط الدنيا.

-تيك اواي؟!

-طبعًا.. مع حبة بطاطس وحاجة ساقعة بيبقى الموضوع جامد أوي.

-وكمان بتمز يا سافل يا منحط!

-إيه ده؟ احترمي نفسك.

-أنا برضه اللي أحترم نفسي، وعرفت كام واحدة كنت بتعمل معاهم الموضوع ده؟

-كل زمايلي في الشغل.

-ده منهم متجوزين يا قادر.

-وإيه اللي يمنع؟ طالما ما عندهمش مانع خلاص.

-ده انا اللي ما عنديش مانع دلوقتي إني أقتلك يا وقح.

-ما هو مش معقولة تغيري من حاجة هايفة زي دي.

- هي دي حاجة هايفة.

-إيه المشكلة يعني إني آكل مع زميلاتي في الشغل يعني.. مش فاهم؟!

(تتسمر)

-لا هو انت لما كنت بتكلمني وبتسبّلي عينك وبتضحكلي الضحكة السهتانة بتاعتك دي وتقولي صالحيني كان قصدك إيه؟!

-قصدي تحطلنا نطفح عشان الطفسة أمك اللي جت كلت من أكلنا في الفرح.

-آآه!

ينبعث صوت الجار من الخارج: يا جاااااميييييييييد.

(ستار)

الفهرس



إذا أردت أن تعرف كيف تصبح زوجتك أجمل من "أنجلينا جولي" وتتعلم فن تنفيض السجاجيد, وتعرف كيف تلعب الحلبسة دوراً مهماً في حياتك، وتتعرف على طريقة تساعد على عدم (بوشان) البقسماط في الشاي أبو لبن، **أرجوك لا تقرأ هذا الكتاب**

قالوا عن الكتاب : -

- أفضل كتاب بعد ميكي جيب .. " والت ديزني "
- أجمل من هدف أبو تريكة في الصفاقسي .. " الخطيب "
- مرجع هام لكل باحث عن جائزة نوبل .. " أحمد زويل "
- آآ..آآآآ... كتاب حلو مفيش كلاااااام ... " السادات "
- وكأني لم أقرأ كتب من قبل يا منى .. " البرادعي "
- فيه أفضل طريقة للتعامل مع المرأة المصرية .. " توم كروز "
- هما اللي بيشتروا الكتاب
  مش عارفين انهم نور عنينا والا إيه ؟؟.. " السيسي "

الغلاف: مي مجدي

